عمر بهاء الدين الأميري

ألوان طيف

شعر

عمر بهاء الدين الأميري

ألوان طيف

شـــــــــعـــر

ألوان طيف

- ثاني ديوان أنشره بعد « مع الله»
- خمسون قصيدة، في فنون مختلفة، من قرابة ستمئة، كانت وحي السنوات الثماني الأخيرة.
- القصائد مرتبة وفق التسلسل الزمني
- في آخر الديوان معجم للألفاظ الذي بجوارها نجمة «*».

هذا الديوان:

في امتداد الآفاق... في أغوار الأعماق...
في السماوات العلى... في غياهب الدُنى...
آلام... أحلام...
آمال... أوجال*...
إشراقة الحق... والحقيقة.
عبوس الرَيْن*... والغَواية.
رَهْواً*... مع السعادة والمنى...
رَهَقـاً*... في الكرب والضنى...
تقلباً بين الرخاء... والشقاء
دولاب يدور... في ظلمة ونور...
حياة.. إطارها موت...!
وفناءٌ... يحقق البقاء...!
أنهُرٌ*... وليال...
ربيع... وخريف...
ألوان...
« ألوان طيف »

إذا عَبَسَتْ نظرتي...
يموت الصدى... في المدى..!
وتطوي الغيوم النجوم...!
وتذوي عيون الزهور*...!
وتنبو لـحُون الطيور...!

وإن بَسَمَتْ فطرتي
فإن الصدى... لا يموت...
ولكنّه قد يسيح...
يجوب الوجود الفسيح...!

وأما النجوم؛
فقد تشتهي أن تنام...
على فـرُش مِن سلام...
فتـلْبَس ثوب الغمام...!

وترنو عيون الزهور؛
فتـُدرك... من خفق قلبي... توَهُّجَ حُبي

وتقرأ... في سِفْر حسي... صحائف نفسي
وفيها... هيام طهور...
وفيها... ظلام... ونور...
فتغمض عني... وفاء...
وأغضي... وتُغْضِي... حياء...

وتشدو الطيور... لِحُون الهنا...
وفي حركات مناقيرها،
رموز لمن يفهمون الإشارهْ...!
وفي نغمات مزاميرها،
نداء الهوى.. وحُداء الإثارهْ..!
يسوق الخُطى... لاجتناء المنى...

هكذا.. تمضي الحياة.. هكذا...
ويمر العمر... في عدل... وحيفْ*...
كل يوم... فيه لون... وشذا...
قُـلـَّبٌ... لكنَّها... « ألوانُ طيفْ »...!
بدأت أقول الشعر...
وأنا طفل في التاسعة...!
وأحرقْتُ ديواني الأول...
وأنا ابن اثنتي عشرة...!
واجتمع لي منذ ذلك الحين،
حتى شارفت الخامسة والأربعين،
عُشرون ديواناً...
لم أنشر منها بعد.. إلا « مع الله » !
وهو الجانب الإلهي من شعري
وفي مقدمته ذكرت:
« قيل لي: هلا بَدَأتَ بنشر شعرك؟
قلت: أبدأ... لا... لماذا؟!
أبدأ... متى.. وبماذا؟!

- أصداء الطفولة
- بواكير الشباب
- قصتي مع الشعر
- مع الله
- في بلادي
- أنين.. وحنين
- صراع

- خماسيات
- مع القاضي الزبيري*
- رجال... وأشباه...
- عواطف... وعواصف
- جمال... وهوى
- الموؤدات!
- أفانين...
- ألوان طيف...؟!

قلت: أبدأ... « مع الله »
ولكنني... إن فعلت،
أخشى شبهة النفاق...فما كل شعري... مع الله!
فكيف أقدم نفسي للناس...
بهذا الإطار السامي؟؟!
فلأبْدأ.. بسواه...
وكيف أتخطاه..؟
وهو كفارة* كثير مما عداه،
موصول بالله..؟ »

ونُشر ديوان « مع الله »
ولقي ما لم أتوقع له:
حفاوة في عوالم العرب، والإسلام، والاستشراق!
وعُقوقاً... في وطني الصغير... « سورية »!!
وكان الذي توقّعت؛
فقد تلقاني قرّاء « الديوان »
ونَقَدَة الأدب
– غير ملتفتين إلى ما ذكرته في مقدمته –
على أنني:
« صوفيٌ كبير...! »
« شاعر إلهي...! »
« نسر... هابط في ظلال المحاريب..!! »
ويا ليتني كنت كذلك...
إنه مقام سامٍ...
أصبو إليه... ولا أقدر عليه...
فإنني عنه رهين؛
رهين أغلال الحمأ*...
وأوصاب* الحياة...
ولأواء* الظمأ الإنساني...

في نفس... شاعر...
« أريد تسامياً... فأظل أرنو...
إلى الجوزاء... في كبد السماء...
وأصفو، والكئُدُورة في كياني...
ألست جُبِلتُ من طين... وماء...؟!
إنني إنسان...
إنني « فنان»...
إنني ألوان...
« ألوان طيف »...

درجتُ في أكثر دواويني
على... وحدة الموضوع...
وبعد طبعي « مع الله »
ونفاد جل نسخه... خلال عام
اتجهت نفسي... إلى استخلاص شعري في الأسرة
... وإصداره في ديوان:
« أبوّة... وبنوّة... »
فأعددته جاهزاً للطبع... قبل عامين
وتقاعسَتْ بي عنه، شؤون... وشجون
ثم اتفقت مع « دار القلم » في القاهرة
وجعلنا لنشره موعداً،
أستطيع فيه الإشراف عليه بنفسي
ولما حان الموعد...
كانت أحداث السياسة...
قد شطرت الركب... وغيّرت الدرب!!
فتقاعست من جديد...!
ووصلني خلال ذلك، مزيد من الدراسات والتعليقات
على ديواني « مع الله »
وكلها تردد:
« الصوفي الكبير... »
و«الشاعر المتألّه*... »!
فأخذني رَهَبٌ، من ثقل حق هذا الاسم..!!
وبدا لي أن أدع « أبوة... وبنوّة »
للأقدار التي أبطأتْ به
– لاسيما وأنه لون واحد في شعري –
وأن أبادر إلى نشر ديوان
يعطي عني صورة... مستوفية، أو تكاد...

تقرّب حقيقتي للناس
كما أنا...
لا كما يُظن بي،
أو يراد لي...
وهكذا كان...
ظهور ديوان:
« ألوان طيف »

« قرنايل* »... عروس لبنان...
بصنوبرها الأشم... وجوّها الحالم
أثيرة لدي؛
فكم صحبتُ إليها والدي، طيب الله ثراه،
وأنا صغير
وكم قضيت فيها... مع الشباب... والكهولة...
من صيف قرير...
إلى « قرنايل »
المعلقة بين السماء... والماء...
كنت أنتزع نفسي... من ضوضاء الحياة...
في عزلة معطاء...
مرة بعد مرة...
وفيها أعددت للنشر...
ديواني: « مع الله »
ثم عدت أطبعه في حلب...
ولمّا حالت بيننا وبين لبنان...
ظروف السياسة وصروفها
إبّـان ثورته الدامية..!!
اصطنعت في جبل « الأربعين* »
رأس « أريحا* » المشرئب...
بيتاً تصطاف فيه الأسرة
واتخذته دار عزلتي...
ألوذ به من وعثاء* الزمان...
« ومنغصات العيش في حلب »..!
خِلَساً من خريف...
وأياماً من ربيع...
أفرغ فيها لذاتي...
طلْقاً من إسار الناس...
أعد لنفسي أبسط الطعام...

أحيا على السجية... وأنطلق مع الشعر...
« هو في غربته يأنس بي...
وأنا في لحنه أشكو الدُّنى... »
أسرح... ولا أمرح...!
أجعل الخبز فتاتاً في دروب النمل...
أنقذ الفراش من شباك العناكب...
أستمتع بتأمل العصافير...
تختلس أثمار شجري بِنَهَم... وتغرد في نشوة
أتسلى بالقطة الشرود المستوحشة
أهَّلها بِرِّي... فأخذت تأنس بي... وتهرُّ لي...
تثب إلى حضني... تنطح يدي... وتلعق أصابعي..
ألتمس في الزهر والشجر
وفاءً... وصفاءً... أفتقدهما في البشر
أصنع بالأوهام... من هَيولى* الغمام... عرائس الأحلام
أملأ من أعناب الإشراق... دنان الآفاق...
وأشارب بنات الأذواق... سلاف* الأشواق
أبكي بدمع الغروب الحزين...
وأفتر مع الفجر البسام...
وقد أرسل من القلم... مِداد ألم...
وأخط في السطور... بوارق سرور...
أسكب المشاعر... شعراً
من كيان حيران
بين أنّى... وكيف!؟
في أشكال... وألوان...
«ألوان طيف »...

وحي سنواتي الخمس الأخيرة...
يزيد عن أربعمئة قطعة...
منها القصيدة... تبلغ أبياتها المئتين..!
ومنها الرباعية... في بيتين...
وفي هذا الديوان، مختارات...
موضوعاتها أفانين*
متباينة... متلاقية...
نبات... مختلف ألوانه
يسقى من ماء واحد...
ولعلها تبرزني... كما أنا...
وتنقذني... من شبهة النفاق...

وسِمة الصوفية...
التي أكبرها... نقية... تقية...
ولكنني لا أستحقها!!
هذا الديوان
أضاميم شوك*... وزهر...
من نتاج شطر من العمر
جزء يسير...
ولكنه قد يكفي، لإظهار ملامح الشاعر
والتعريف بإنسان... إنسان...
إنه أثارة* من شعري المسطور...
أما الشعور... كل الشعور...
فإن حياتي...
حياتي في أرض الدنيا...
تضيق عن استيعابه
ويعجزها التعبير عنه...!
إنه أكوان...
أبعاد... وامتداد...
أسرار... وأغوار
جنات... وكائنات أشتات...
وما شعري، من شعوري....
إلا غيض... من فيض...
قبسة...
قبسة ألوان
« ألوان طيف »

أريحا – جبل الأربعين:
١٣٨١/١٢/٦ – ١٩٦٢/٥/١٠

عمر بهاء الدين الأميري

.. ومضت شهور أربعون

... ومضت شهور أربعون...
كأنها صخب الخِضمِّ
للحادثات تقلب...
وأنا... أنا... في قلب همي...
مِتُّ الحياة...
وعشْتُ معنى الموت...
في فقدان أمي
وصبرْتُ، والأيام عجلى بالأذى،
صبر الأشَمِّ
أمضي... وأمضي...
لا ترد خطاي بالخطب المُلِمِّ
وتقول عاذلتي:
أعيذ نهاك من هم وغم
أمسِكْ خطاك...
فلسْتَ أنت بصاحب الشأن المُرِمِّ*
فأقول: كلا...
نحن من أمر الرسالة، في الأهم
أنا، في صراطي، مُصعِد
والناس، في مدحي وذمّي
سأظل مِثْـلَ الحق...
لا يعنو لبُطل مُدْلَـهِمِّ
وأصُبَّ، جلجلة القصيد،
بمسمع الدهر الأصم

مضت شهور أربعون...
والديوان جاثم، حيث كان
في ترقب من يصنع له لوحات
تتلاقى وبعض صوره وأخيلِته
... وجاءت لوحات...
لا أدري ماذا أقول عنها!؟
تشكلات الغيوم أوضح منها!!
لو جعلنا معاني الشعر... دُخانا...
وأحلنا روحه، من آفاق... وأعماق...
إلى أخلاق*!
وصُوَره، من أبعاد... وامتداد...

إلى رماد!
ثم جئنا بالريح ملونة...
تمزج هذا بذا...
خبط عشواء*...
لكانت، اللوحة الخالدة...
للعبقرية الفذة!!
على أن الأمر في التصوير
أهون منه في التفكير...
فما هي إلا مُجَاجَاتٌ* على ورقة،
من ريشة « رسام »،
مختلفة الألوان والقوام...
يسيل بعضها على بعض...
في عبث سريع...
حتى ينتهي الأمر،
ويفرض « ذوق العصر »
هذا الهذيان السائل...
والهراء الملون
آية من آيات الفن
لك أن تسميه « تجريدياً » أو « سِرْيالِياً »...
أو أن تبتدع له شكلا « عشوائياً »...
وتدعوه « عنـقـا ئِـيَّـاً »* ...!
أما إذا أردت إبداعاً...
منطلقاً من روائع الرسم...
وفنّه العريق...
فيقول « المُجَدِّدون » :
لا؛ ليس من فن العصر،
تصوير الرّقائق و الدقائق...
هذا جمود!!
ألا رحم الله « الكيلاني* »؛
إنهم « المُجَدِّدونات* »
وكم لهم من نظراء... في الشعراء
يرون من « رجعيِّة » الأدب
أن يقيموا وزناً لــ « وزن »!
أو أن يقفوا عند « قافية »!!!

مضت شهور أربعون
تداولتني أكف الزمان...

بين آلام... وآمال...
وحلٍ... وترحال...
بلادٍ متباعدة... في أرجاء الأرض...
رحلات... ومؤتمرات... في الشرق والغرب
أدُور... في سجن الحياة الكبير...
ثم أعود...إلى سجني الصغير...
في « حلب »!!!
أحوال... أهوال... انقلابات...
وحدة... وانفصال...
نصر من الله وفتح مبين... في « الجزائر »
حرب، في «اليمن»، ضروس*
أحباب يطويهم الردى
نظم وليدة... ومبادئ جديدة
قلق... بين الشعارات وفحواها
وفي شكل الحقيقة... ومحتواها!!
وفي المَهَبِّ
شاعر حر أبي
في قلبه... مصائب أمته
في روحه... أمانة إنسانيته
في جسمه... نـزَغَـاتُ ترابيَّـته
في رأسه... طموح ومجد
في عينيه... جمال وهوى
في شِعْره... نار ونور
قبْسة من هنا
وشعاع من هناك...
كيان يتفاعل مع الأكوان
في سَغَـب* ولـغَـب*!

وها أنا الآن... في « لبنان »
أحاول... أن أطمئن وأستقر...
إلى حين...
ولكن... هيهات...
القلب... في حُرق!
والنفس... في قلق!
والروح... في غلق!
حقاً... في المهب...
كتاب...

وريحِ هوجاء، تلوك صفحاته المتدافعة
بِـنَـزَق وتشويش...

شهور... أربعون
والدولاب يدور...
العمر... والدهر...
على أن حدسي* يقول:
الـمَدّ أبقى من الجزر...
وثمة إرهاصات*...
ستعود الإنسانية إلى ذاتها... بعد تيه
ويشرق فجر جديد...
ألـهُدى...
ودين الحق...
يظهر على الدين كله.
وفي معترك الأعباء هذا...
بين همس الرجاء...
ومغالبة الشقاء...
في عناء... ومضاء...
يحاول « طيف » لا يغيب
أن يفرض وجود ذاته
رغم أذاته...

في اتقاد النور...
في مُحْـلَـوْلِـك الليل البهيم
في اصْطِـراعَاتِ الهدى والشك
في الهم المقيم

في الرؤى...
في جهرة اليقظة...
في رجوى القلوب...
في السما...
في الأرض...
في الآفاق...
في تيه الدروب...

في غد التاريخ...
في أمس الـدُّنـَى

في يوم أمَّهْ
صُوَر...
مشرقة حينا...
وحيناً مُـدْلَـهِمَّهْ

عالَـمٌ...
من أمل...
من ألم
دنيا مشاعرْ
طينة روحية التكوين
منها صيغ شاعر
لا تسلني:
أين؟ أنى؟ كيف؟!
لا أعرف كيف
أنا طيف...
أنا ألوان..
أنا « ألوان طيف »

بيروت في:
١٣٨٥/٥/١ ــ ١٩٦٥/٨/٢٧

عمر بهاء الدين الأميري

ألوان طيف

١

شعور

قرنايل: ١٣٧٧ــ ١٩٥٧

شعور

قــال لــي صــاحبي يفنّــد شــعري ... إن شـعري كـالنّثر سـهل مُرَقـْرقْ*
سبْكــُهُ ضــامِر اللحــون جَــدِيب* ... واصــطفاء الألفــاظ غيــر مُوفــقْ
قالهـــا فـــي لباقـــة واعتـــذار ... قلْتُ « عبد الكريم » ويْـكَ تـَرَفـّقْ
ليس شعري لفظاً وسَبْكـاً وجَرْسـاً ... بـل شـعوراً فيـه التعـابير تـَغـْرَقْ
خفقــة مــن حُشاشــة القلــب حــرّى ... كيـف يـا صـاحبي الوَجـِيبُ يُـزَوّقْ
زفـــرات ولوعـــة ونَشِـــيج* ... كيـف يـا صـاحبي النحيـب ينمّـقْ
كيـف أختـار نبْرتـي حـين أضـحك ... كـيف أخـتار أنـّتـي حين أشـهـقْ
أنـا لا أعـرف التصـنع فـي شـعري ... فشـعري سَجـيّـتي حـين تـُطلـَقْ
كلمـا سـاقني إلـى الصـعب عزمـي ... بَسَـمَ المجـد فـي فمـي وتألـّقْ
كلمـا شـاقني مـن الـدهر صـنع ... قهقـه البشـر ملء شِـعْري وصفـّقْ
كلمـا عـاقني عـن الخيـر شـر ... أرعـد السّـخْط فـي كلامـي وأبْـرقْ
كلمـا راقنـي جمـال بـديع ... لـَمَعَ الحُسْـنُ فـي بيـاني وأشـرقْ
كلمـا رَابَنـي مـن النـاس أمـر ... حـّزِنَ الحـقّ مـن مقـالي وأشـفقْ
كلمـا سـاءني بقـومي خطـب ... وَجَمَ الهَمّ في قـَريضِي وأطـْرَقْ
كلمـا هـاجني مـن الشـوق لحـن ... حوّمَ الـوَجْدُ في نـشـيدي وحلـّقْ
كلمـا مـرّ بـي نعـيم وبـؤس ... فـي مرايـا القصـيد حسّـي تفتـّقْ
كيـف لـي باختيـار لفـظ مُنَمّـق ... كيـف لـي باصـطناع لحـن مـروّقْ
وشـعوري ينسـاب فيضـاً غزيـراً ... مـن أحاسـيس خِلْقـَتي يتدفـّق
كـُل حِس قـد صـيغ لفظـاً ومعنـى ... دون قصـد منـي، ولاحَ برونـق
هـل لزهـر الرُّبـى اصـطفاء شـذاه ... كـل زهـر كمـا تكـوّن يَعْبَـقْ
واللحـون التـي تـروق وتـُشْجِـي ... كـالنفوس التـي تـُحِـب وتعشـقْ
هـي ذوق، والـذوق سِـرٌ عجـاب ... من قيود التـّفـْنيد والرأي مطلـقْ
ونشـيد الصـفاء فـي الكـرب يَنْبـو ... ونَشِيجُ الشـّقاء في الأنْس يصعقْ*
فـإذا رُمْـتَ أن تـُحلـِّق فـي أجـواءِ ... .. كنهـي، أغْـرِقْ كمـا هـو أغْـرَقْ

وتـــمَعّن، يـــا صـــاحبي، وتأمّـــل
وتقبّـــل شِـــعْري كمـــا جـــاء، وابْسِـــم
وانســـجم فـــي شـــعوره وتمـــازج
والـــتمِس فـــي وجيـــب قلبـــك همّـــي
وتلـــبّس نفـــسي تـــرَ اللحـــن أشـــجى
وعســـى أن تكـــون بـــي وبشـــعري

إن روحـــا يـــدور فـــي فـَلـَـك الـــذات،
فـــإذا مـــا حنـــا علـــى كـــل روح

وحـــي شَـــدْوي وسِـــرّه، وتـــذوّقْ
مـــا تغنّـــى، وإن بكـــى فتـــَحَرّقْ
وتـَخَمّر فـي روحـــه و « تـعـتـّـقْ
»
وبعينيـــكَ سُـــهْدَ جَفْنـــي المُـــؤرّقْ
وانتقـــاء الألفـــاظ أهـــدى وأوفـــق
وشـــعوري إذ ذاك أنـــدى وأرفـــقْ

.. سـيبقى، مهمـا تسـامى، كزئبـقْ
وتـــدانى، بـِكـُـــلِّ روح تـَوثـــّقْ

٢

أب

قرنايل: ١٣٧٧ــ ١٩٥٧

كنت مع أولادي الثمانية، وأسرتي، في مصيف « قرنايل ». ثم سافروا جميعاً إلى « حلب » ، وتلبّثتُ وحدي في خلوة شعرية:

أب

أين الضجيج العذب والشغب؟ أين التدارس، شابَهُ اللعبُ؟
أين الطفولة في توقّدها أين الدّمى، في الأرض، والكُتُبُ
أين التشاكس دونما غرض أين التشاكي ماله سببُ
أين التباكي والتضاحك، في وقتٍ معاً، والحُزن والطربُ
أين التسابق في مجاورتي شغفاً، إذا أكلوا وإن شربوا
يتزاحمون على مجالستي والقربِ مني حيثما انقلبوا
يتوجّهونَ بِسَوْقِ فِطْرتهم نحوي، إذا رَهَبُوا وإن رَغِبُوا
فنشيدهم: « بابا » إذا فرحوا ووعيدهم: « بابا » إذا غضبوا
وهتافهم: « بابا » إذا ابتعدوا ونَجِيّهُم: « بابا » إذا اقتربوا

بالأمس كانوا مِلء منزلنا واليوم، ويح اليوم، قدْ ذهَبُوا
وكأنما الصمت الذي هبطت أثقاله في الدار إذ غربوا
إغْفاءةُ المَحْمُوم، هَدْأتُهَا فيها يشيع الهم والتعبُ
ذهبوا، أجل ذهبوا، ومَسْكَنُهُم في القلب، ما شطّوا وما قَرُبُوا
إني أراهم أينما التفتتْ نفسي، وقد سكنوا، وقد وثبوا
وأحِس في خَلَدي تلاعُبَهُم في الدار، ليس ينالهم نصبُ
وبريقَ أعينهم، إذا ظفروا ودموع حرقتهم، إذا غلبوا
في كل ركن منهم أثر وبكل زاوية لهم صَخَبُ
في النافذات، زُجَاجَها حَطَمُوا في الحائط المدهون، قد ثَقَبُوا
في الباب، قد كسروا مزالِجَه، وعليه قد رسموا وقد كتبوا
في الصّحن، فيه بعضُ ما أكلوا في علبة الحلوى التي نَهَبُوا
في الشّطْر من تفاحة قضموا في فَضْلَة الماء التي سَكَبُوا
إني أراهم حيثما اتّجهتْ عيني، كأسراب القطا، سَرَبُوا
بالأمس في « قُرْنايلٍ*» نزلوا واليوم قد ضمّتهُمُ « حلبُ »

دمعي الذي كتمْتُهُ جَلَداً لمّا تباكوا عندما ركبوا
حتى إذا ساروا وقد نزعوا من أضلعي قلباً بهم يَجِبُ
ألْفَيْتُنِي كالطفل عاطفةً فإذا به كالغيث ينسكبُ
قد يعجَبُ العذال من رجلٍ يبكي، ولو لم أبْكِ فالعجبُ
هيهاتَ ما كُل البُكا خَوَر إنّي، وبي عزمُ الرجال، أب

٣

في قرنايل

قرنايل: ١٣٧٧ــ ١٩٥٧

تصوير لإطلالة الفجر، وإشراقة النهار. وتخيل لصراع بين الشمس والوادي، على ابتزاز الروعة والجمال، ساعة الغروب. والدهر يشهد هذا الحدث الرتيب.

وانتقالٌ إلى آفاق من النجوى والشكوى، والألم والأمل، والعزيمة الحائرة في النفس الثائرة...

في قرنايل

بـــادِرِ الفجـــر، واشـــتمِل بـــإزارهْ ... وتمتـــعْ بالحُسْـــنِ فـــي أغْـــوَارِهْ
ودعِ الهيكـــــل الترابـــــيّ حينـــــاً ... واسرِ بالروح في مدى مضمارِهْ
واتجـه فـي كيانـك الطلـق واسـرح ... فـــي هَـــوَاه، وفـــي رؤى أفكـــارِهْ
ســـترى غـــرة ليـــوم جديـــد ... كان في الغيب وانْبَرى من سِتارِهْ
والضـــياء الحيـــران يضـــفي عليـــه ... حُلـــــّة مـــن لـــُجيْنِهِ وَنُضـــارِهْ
ســـترى فيـــه سِـــرَّ ربٍ بـــراه ... وبِـــأنْوَارهِ صَـــدَى أنْـــوَارِهْ
أرْهِـفِ الحـس واستـمِعْ لِنجـاوى ... .. الفجْـر مـا بـين ديكِـهِ وهـزارِهْ
وتأمـل فـيض الجمـال علـى الـوادي ... .. نضـيراً، يَشـع فـي أسـحارِهْ
قد تمطى، ومد رجليه، عبر الأفق، ... .. فـي البحـر مُبْـرِدَاً مـن أُوَارِهْ
والرّوابـــي توكـــّأت عـــن يمـــينٍ ... وشِمالٍ، واسْـتـرْسَـلَـتْ في جِـوَارِهْ
وعليهـــا مـــن الصـــنوبر تـــاج ... ركـع الزهـر خاشـعاً مـن وقـارِهْ
فـــي مثـــاني ســـفوحها دُورُ أنْـــسٍ ... أقسـم الصـيف أن تـذود المكـارِهْ
تتـراءى بيضـاء كالـدر، زان الـرأس ... .. منهـا اليـاقوت، عنـد اعتمـارِهْ
مـــا أحَيْـــلى الحيـــاة فيهـــا فـــراراً ... ولِـــواذاً مـــن عيْشِـــنا وسُـــعارِهْ
وانطلاقـــاً مُسَـــيّباً فـــي رحـــاب ... مـن دروب الـوادي ومـن أوكـارِه
يـــا لطيـــب النســـيم هـــفّ علـــيلا ... يسـتثيرُ الحَفـيفَ مـن أشـْجارِهْ
ثـــم يســـري فـــي رقـــة ودلال ... مشـبعاً بـــالأريج مـــن أزهـــارِهْ

يـا لحسنٍ وروعـةٍ في دبيب العزم ... .. لـــم يبْـــق ذا حيـــاة بـــدَارِهْ
مـــاج منـــه الـــوادي بـــروح مطـــلٍ ... من كُوى الفجْر، خافقٍ في إطارِهْ
لابسٍ بهجة الصباح، وَوَهْجَ الماس ... والـــدّر، فـــي اتـّضـــاح نهـــارِهْ
فاتقـــاد النشـــاط فـــي ســـاكنيهِ ... كاتّقـــاد الحيـــاة فـــي أطيـــارِهْ
ورفيـف الفـراش والنحـل يحكـي ... دأب النمـــل جـــدّ فـــي تســـيارِهْ

ويمـر النهـار فـي نصـب السّـعيِ ... .. ويبـدو المسـاء خلـف سـتارِهْ
فـي احمـرارٍ، كَخَـدٍّ بيضـاء رودٍ* ... حَجَبَـتْ بالشّـُفـُوفِ مـن جُـلـَّـنارِهْ

وكأني بالشمس غارت من الوادي .. وقد لاح زاهياً في خِمَارِهْ
ثمّ ألقى عباءة الليل عنهُ فتبدّى الجمال بعد استِتَارِهْ
ثم أضحى تهتز في جانبيه خَطَرَاتُ الحَيَاةِ، رغمَ وَقَارِهْ
ثم أمسى كشاعر شفّهُ الوَجْد، .. وفاض الحنين من قِيثَارِهْ
فتعرّتْ مختالة وتولّت تُطفئ الغيظ في مياه بحارِهْ
وخيوط النّضار من شعرها الوهّاج .. تُذكي في الأفْقِ شُعلةَ نارِهْ
تتحدى بحسنها كل حسن وغبي يشتط في إنكارِهْ
فيثور الوادي ويزعم أنّ الحُسْنَ .. ألقى إليه حقّ انحصارِهْ
وإذا الشمس نفثةٌ من لهيب – وشِجار الرفاق جَم المكارهْ –
هي نادت لِرِفْدِها وَضَحَ النور .. فجاء النّهار في أوْزارِهْ
وهو نادى الدجى فهبّ إليه مُسْتطارا للحرب في أطْمارِهْ
والثرى والسماء في حيرة الأمر .. تخافان من ذيول شِجارِهْ
نادتا كامن الغيوم من الأرجاء .. سِتْراً لخزيهِ وفِجارِهْ
فإذا في السماء والأرض غيم يغبِش الجوّ ُ في ظِلال مَسَارِهْ
تتراءى خلاله وَقدَة ُ الغيظ .. ويُرمى سحابُه بشرارِهْ
ومرايا الآفاق تعكس ألوان .. صراعٍ، ما بين دامٍ وفارِهْ
شاقت الدهر فاعتلى الشاهِقَ الجبّار .. – والهمّ ُ نال من إبصارِهْ –
ومضى يرقب الصراع بعينيْه .. مُلِحَّاً، حيناً، ومن مِنْظارِهْ
وغُيُوبُ العصور، من عهد إبليس .. إلى الحشر، لُحْنَ في أنظارِهْ
قد رأينا، وقد رأى، وقد رأى الناس، .. وكل يرى على مِقْدارِهْ

وطَوَتْ فَوْرَةُ الصراع ذُكاء، وتغنّى الوادي بِزَهْو انتصارِهْ
وارتمى متعباً يعُبّ ويُلْقِي نَفَثَاتِ الدخانِ من « سِيكارِهْ »
وتبدى الغمام أشعث يسري باتّئادٍ إلى دروب مطارِهْ
وعلى وجهه الكئيب ظلال من صراع النهار قبل فرارِهْ
البياض المُغبر في زُرقة الأفْق .. ترامى وغاب بين اصفرارِهْ
وسرى من فم الشّعابِ دخان قاتِمٌ في ائتِلاقِهِ واحْمِرارِهْ

بيْدَ أنّ الوادي، وقد قُضِيَ الأمر، .. ولَوْثُ الدِّماء في أظفارِهْ
ملأ الحزن جَوّهُ فتهاوى في سريرٍ، يُقِضّ ُ*، مِن أحْجارِهْ
حَشوهُ الشّوْكُ والحصى. وبدا الليل .. رهيباً، يغوص في أسرارِهْ
وكأنّ الهَوَامَّ تَفتِكُ فيه مُزع* قد قُطِعْن من فُجَّارِهْ
قلّب الفكر، والعواطف شتى في حَشاهُ، والغمّ ُ في أغوارِهْ:
إنه منذ كان، يعشق تلك الشمس، .. في وهْجِها مُنى أوْطارِهْ
في شُعاعاتها اللّطاف نماء لأزَاهِيرِهِ، ونضج ثمارِهْ
لوّنتْها بالحُسْنِ لوْناً فلَوْناً وحَبَتْ غابَه بديع اخضرارِهْ
كيف يحيا من غير شمس، ويرضى بانتِصار يُكِنّ ُ ذلّ انكسارِهْ

إن عُدوانَــه علــى الخِــدْنِ عــارٌ؛ كيف يحْيا، وكيف يرضى بِـعَارِهْ
وانتصـار الفتـى علـى الصّـحْب بَـدْءٌ لِتــردِّيهِ فــي الأذى وانــدِثارِهْ
إنّ مــن يطعــنِ الصــديق ليقضــي مَأرَبــاً، لا ينــال غيــر اندِحــارِهْ
غَــدْرَةُ المــرء بالأحبّــة خــزيٌ يتســامى عليــه خِــزيُ انتحــارِهْ

وأقام الوادي على السّـُهْدِ طول الليل، .. نــدمان تائبــاً مــن شَــنَارِهْ
فأتــــاه البشــــير أنّ ذُكــــاءً صفــحَتْ عــن ذنوبــهِ لادِّكــارِهْ
ستــُحيّي رُبَــاهُ فــي نَـفَـسِ الفجْـر .. وتمضــي إليــهِ عنــد افْــتِرارِهْ

وأطَـلّ الفجْـر الجديـد علـى الـوادي، يُسَقــِّي الــدنيا شــهِيَّ عُقَــارِهْ*
وتتالــت مشــاهد الأمــس واليــوم .. ودارَتْ مــع القــضا فــي مَـدَارِهْ
تلكـم قصـة الحيـاة رواهـا الكـون منــذ الآبــادِ، فــي أخبــارِهْ
ردّدتْ لحنهــا الرِّيــاحُ وأجْــرَى الــدّهرُ أصــداءها علــى قيثــارِهْ

إيــهِ « قرْنَايــلُ » عليــكِ ســلامٌ مِــن فــؤادٍ يــذوبُ مــن تِـذكارِهْ
ومُحِــبٍ منــذ الطفولــة يشــدو فــي رُبــاكَ الكثيــرَ مِــن أشْــعارِهْ
لــم يــزلْ يسْتــَمِد بِكْــرَ المعــاني مــن جمــال حُبِـيــتَ مــن أبْكــارِهْ
وفتــىً كلمــا ألحّــتْ عليــه شــدّة الــدّهر فــرّ مِــن إعصــارِهْ
لا فِــرار الجبــان خوفــا، ولكــن يتقــوّى علــى وغــى أخطــارِهْ
رام فــي فيْئــكِ السَّــكينةَ حينــاً هــل يَفِــرّ ُ الإنســان مــن أقــدارِهْ
يتســلى بطيــفِ أنْــسٍ شَــرُودٍ يُمْــتِعُ النّـفْـسَ مِـن شَـمِيم عَـرَارِهْ*
وحبيـب مـا زال فـي الغيـبِ يَثْـوي وَوَراء الآفــاق بُعــدُ مَــزَارِهْ

إيــهِ « قرْنَايــلُ » عليــكِ ســلام مــن غريــبٍ مــرَزَّأٍ فــي دِيــارِهْ
ســامَرَ الــنّجم فــي الليــالي وحيــداً يَتَـلَظــّى مــن همّــهِ ودُوارِهْ
كــلّـمــا لاحَ فــي ســمائِكِ بــدْرٌ أجَّ فيــهِ الهــوى إلــى أقمــارِهْ
وتغنّــى فــي لوعــةٍ وحنــينٍ بِلــُحون الماضــينَ مِــن سُــمَّارِهْ
باعَــدَتْ بينَــه وبــين ذويــهِ قَـسَــمٌ مِــن طباعِهــِمْ ونِجــارِهْ*
كم قضى بينهم وكم سوف يقضي مِــن ليــالِ كئيبــةٍ، غيــرَ كــارِهْ
يتــوانى عــن بــرِّهِ أقْــرب الخلــقِ .. إليــهِ، ولــمْ يَجِــدْ عــن شــعارِهْ
يَبــذل الــنفس والنفــيس وفــاءً ويُضــحِّي شــبابَهُ فــي اصْـطِبارِهْ
تتولــّى أيامــه فــي أوَامٍ* وسِــواه يعُــبّ ُ مــن إيثــارِهْ

لــيْتَ هــذا الزمَــانَ سَــارَ سَــويّاً وتَخلــّى عــن جَــوْرِهِ وقِمــارِهْ
وأقــام القســطاس فــي النــاس عــدْلا فــأذاق المُغْـتــَرَّ ويــلَ اغْــتِرارِهْ
وحبــا راعــي المــروءاتِ فــي الجُلــّى حُســاماً يَصُــولُ فــي بـَتـّارِهْ
والنفــوس المغــرِّدات هُــيَاماً مَــدَّها باللــّحُون مِــن أوتــارِهْ

وأتـــاح المجـــال للطـــامح المقـــدام ... يَـبْـنـــــي أمْجـــادَهُ بِبِـــــدارِهْ
غيـــر أنّ الزمـــان ســـار بِـنَـــهجٍ ... عَـــزّ إدراكُـــنا لِغـــوْر قـــرارِهْ
ضَـــفَرَ الغـــارَ للجبـــان، وأقصـــى ... عنْ جبينِ الشّـُجاعِ إكْـليلَ غَارِهْ
أعْثـَـرَ الشّـــهمَ وهـــو يمضـــي لخيْـــرٍ ... وأقـــالَ* المَـأفـــُونَ سُـــوءَ عِثـــارِهْ
حـاد بالمُخلِصِـين عـن جَـدَدٍ* المجْـدِ ... مُعِينـــاً عليـــهِ بَعـــضَ شِـــرارِهْ
حَـرَمَ البلـدة الطّـليعة فـي الـوَعْيِ ... .. وأعطـى الصـحراء ثـروة قـارِهْ
فتنـــة تلـــك فـــي الـــورى واختبـــار ... أيـنَ يمْضـي زمانُـنا فـي اختِبـارِهْ!

إيـهِ « قرْنَايـلٌ » هنيئـاً لمـن أضـحى ... .. نـسِيَّـــا، أو عـــاشَ فـــي أذكـــارِهْ
مُعرضـــاً عـــن زمانِـــهِ وهَـــوَاهُ ... يَتـَلقـــــّى ازْوِرَارَهُ بـــــازْوِرَارِهْ
بَيْـــدَ أنّـــي، والقلـــبُ حـــرٌ أبـــيٌّ، ... لا يُبـــالي بِـــزَجْرِهِ وانتِهـــارِهْ
ســوف أمضـي مـا دام فـيَّ ذمَـاءٌ* ... فـــي متاهاتِـــهِ ولـُـــجِّ غِمَـــارِهْ
وســـأبقى أجاهِـــدُ الشـــرّ عُمْـــري ... ولـــو أنّـــي كـــالعُودِ فـــي تـَـيَّـــارِهْ
قـد يمـوت الإنسـان فـي إصـراره ... ويَعِـــيشُ الإنســـانُ فـــي آثـــارِهْ

رُبَّ حُـــرٍ مُـكبّـــل اليَـــدِ عَـــانٍ ... بَـتَّ فـي عزمِـهِ مَريـرَ* إسَـارِهْ*
هشَـــمَ الكـــفَّ فـــي عِنـــادٍ مُلِـــحٍّ ... ورَمَـى القيْـدَ عنـهُ فـي إصـرارِهْ
ومضـــى والإلـــهُ نُصْـــبُ* مُنَـــاهُ ... يَتـَخطـّى الرَّدى بِـمِـلْءِ اختيارِهْ
قـهَرَ الصَّـعْبَ وانتـَضَى العَزمَ حَـتـّى ... أخـــذَ المجـــدَ عَنْـــوَة* باقتِـــدَارِهْ
كـــم ينـــالُ الزمـــانُ مـــن أحْـــرارهْ؟ ... وفـَخـَـــار الزّمـــانِ فـــي أحـــرارِهْ!

٤

شكاة

الرياض: ١٣٧٧ــ ١٩٥٨

أخي في الله والأدب أبا الحسن... قصدت « الرياض » بعد زيارة « باكستان » والمشاركة في « الندوة العالميّة للإسلاميات* » ، لأزور جلالة الملك، مودعا، بعد انتهاء مهمّتي، كسفير للجمهورية السوريّة في بلاده العزيزة.

كانت نفسي تجيش بالآمال والآلام، وقد تجسّم لي في « النّدوة » ما كنت أشعر به دائما، من قوة الإسلام الهائلة، وإمكانات المسلمين الضائعة في غمرة من صعوبة العمل، وحيرة العاملين، بين ضعف القادة، وكيد الكائدين.

وكانت وحدة « مصر » و « الشام » تسير خلال ذلك في خطوات أعجل من سير الفكر!

وكانت السماء تجود على أصقاع الجزيرة بالغيث المدرار.

وكانت الأخبار تتوارد عن أحداث الجزائر الدامية.

كنتُ مشوقاً إليك، أؤمل أن ألقاك وأبثّك شوارد الخاطر، وأستجلي بحنكتك وإخلاصك غوامض الرأي، والتباس السبل؛ فلم أجدك في « الرياض » وعلمت أنك غادرتها إلى « جدة ».

وأعلِنت الوحدة » ...

وفي جناني قصيدة تمليها كل تلك المعاني: نجوى روحٍ لروح، والتماس طبٍ لجروح، وقد جاءت عفو الخاطر، فيها أثر من الأجواء المحيطة بها، وها إني أقدّمها إليك، داعياً الله العلي القدير، للبلاد ولك وللمسلمين بالفرج والعزّة، والتأييد والهداية؛ إنه من وراء القصد.

الرياض: ١٦ رجب ١٣٧٧ ع . أ

شكاة

« أبا حسن » قد أتيتُ « الرياض » ... مَشوقاً إلى روضك الزاهر
إلى قلبك المستنير الكبير ... إلى روحك المشرق الناضر
إلى النّبْل يزكو أريجاً بهيجاً ... وينضح من خيمك* العاطر
إلى نفس حرٍّ حباها الإله ... سجايا من الخُلُق الباهر
أتيتُ الرياضَ مشُوقاً إليكَ ... أبيَّ الهوى، شارد الخاطر
أؤَمِل عِنْدكَ رأياً لُباباً ... ينير المَحَجّة* لِلحائِر
فقيل: مضى مُتْبِعاً حظّهُ ... « الحجاز » فقلت: « على الطائر »
وأسْعدَني أن تسيرَ الحُظوظ ... أمامَكَ كالمَثَل السّائِر
بشارات خير تزُفّ الرَّجاءَ ... نديّاً مع الوابل الماطر
تُلِينُ لعزمِكَ صعب الأمور ... فتظفر بالمطلب القاهرِ
ولم أتَمَلْمَلْ وسُقْتُ الدعاء ... بفوزكَ للناصر القادرِ
وأمّلْتُ لُقْياكَ في « جدة » ... وما كان جدّي بالعاثرِ

« أبـا حسـن » قـد رمـاني الزمـان ... مـن الأمـر فـي مُبهِـمٍ مغلـقِ
عصـاني الحِجى فـي اختيـار السبيل ... إلـى نيـل مطلبـي المرهـقِ
فقـومي، وأعظِـمْ بِـهِـمْ أمَّـة، ... أرُومَتـُها* للعُـلى ترتقـي
تفجّـرَ فـي دمِهِـمْ مجـدُها ... فثـاروا علـى الخطـر المُحْـدِقِ
وقـد مَـلَـكَ الأمْـرَ مـنهم رجـالٌ ... يُخـالِف مـنطقهم منطِقـي
لنـا أرَب فـي العُلـى واحِـدُ ... ومَوْثِـقـُهُم فـي الـوغى مَـوْثِقِي
ولكـنّهُم ركِبـوا مَسْـلكاً ... يحِيـد عـن الجَـدَدِ المشـرقِ
نَـأوْا عـن هـدى الله فـي نـَهْجِـهِـمْ ... وسـاروا.. وسـرتُ.. فلـم نلتـقِ
أريـد بإيمـان قلـب جسـور ... وعقـلٍ غيـورٍ وقصـدٍ نقـي
رجوعـاً بهـم لسـواء السـبيل ... حيـادا عـن الغـرب والمشـرقِ
فـإني أراهـم بعـين البصـيرة ... مـن قلـق الوضـع كـالزئبقِ
فكـن يـا « أبـا حسـن » مُسـعفي ... نـذود النّـوازلَ أو نَـتـّقي

ضَـمَمْتُ الجَنَـاحَ عَلـى خَـافقٍ ... بحـبِّ بـلادي وقـومي وجَـبْ
وَغَـادَرْتُ مِثْـلَ فِـراخِ الحَمَـام ... صـغاراً يُنـاغُونَنِي فـي « حلـبْ »
وسِـرتُ، ابتغـاء رضـا الله، أطلـبُ ... عـزّ الجهـادِ، ونعـمَ الطلـبْ
ومـا فـي حيـاتي مـن مَطـْمَعٍ ... لنفسـي، فـلا رغـبٌ ولا رهـبْ
غنـيٌّ عـن الخلـق بـالله لا ... أفكـر فـي نَشَـبٍ* أو رُتَـبْ
إذا مـا توخـّيْتُ رفـْقـاً وصـبراً ... فـذلك مـن خشـية المُنقَـلَـبْ
فريْـثُ المُثابـِرِ أمضـى خُطـىً ... وأبلـغُ مـن قفـزاتِ الصّـخَبْ
وكانـت أنـاةُ الفتـى فـي التقـدّم ... أهـدى وأجـدى لنيـل الأرَبْ
ومسـتعجلُ الشـيء قبـل الأوانِ ... يُصـيب الخَسَـارَ وَيَجنـي النَّصَـبْ
فمـا حيلتـي وغثـاءُ السياسـة ... قـد غالـبَ الـرأي حتـى غَلـَبْ
و « حزبيـة » الحكـم باتـت تـُسيِّرُ ... أمْـرَ الـبلاد الـذي قـد حَـزَبْ*
حمـى اللهُ مِـن شـرِّها وَحْـدَةً ... نريـد بهـا جمـع شـمل العَـرَبْ

« أبـا حسـن » أنـا فـي غربـةٍ ... علـى أنّنـي فـي صـميم الـوطنْ
غريـب المنـى مُستَحِـرّ* الضـّنى ... رهـين العنـا فـي نِطـاق الـزمن
أريـدُ، ومـا لـي أحـدِّث عَمّـا ... أريـد، وَمَنْـذا يعـي القـول مَـن!؟
وجـلّ الـورى فـي خِضِـمِّ الحيـاة ... أسـارى الهـوى فـي صـراعِ الفِتـَنْ
وفـي المطلـب الصـعب جلَّ المسير ... وقـلّ النصـير وعـزّ السـكن
طِـلابُ المعـالي عَسِـير المَنَـال ... وقـد عـوِّد الحـر أن يُمـتحن
تفـرّقَ بـالقوم حكـّامُهم ... وزاغـت قلـوب غَذَتـْها الإحَـنْ*
وماعـت مـن التـّرف المُسـتذِل ... نفـوس ضـعاف دهاهـا الـوَهنْ*

وفي وحدة القوم خير وفير ... ومجدٌ جديرٌ بأغلى ثمنْ
لقد أعلنوها، ولكنني ... أكاد أرى غير ما قد عَلَنْ!
أريد بناةً حماةً لها ... إذا قَلَبَ الدّهرُ ظهرَ المِجَنْ*
فمن لي بإنشاء جيلٍ أبيّ ... تَقِيٍ قويٍ يَصُدّ المِحَنْ

« أبا حسن » يا كريم النِّجاد* ... ألستَ ترى سوء حال البلادْ
ألستَ ترى الحقّ في مأزقٍ ... وقد فرّق البغي بين العبادْ
فَصَرعى الغِنى في لَذاذاتِهِمْ ... وصرعى الخَصَاصَةِ* أسرى سُهَادْ
ورهطُ الحكومات قد جَانَبُوا ... هُداهُم وضلّوا صراط السدادْ
لقد أركبَتْهُم سياساتُهُم ... مراكب تجري بوحي العناد
فبعضٌ تظاهر في غيّهِ ... وبعضٌ تستّر خلف الحِيادْ
نسُوْا واجِب الخلْقِ واستكبَرُوا ... فَعَمَّ البلاءُ وَطَمَّ الفساد
فكيف النّجاةُ وكيف الحياة ... وكلٌّ له في هواه اجتهادْ
وكلٌّ يريد استياق القطيع ... إلى مبتغاه، وبئس المراد
فهَلاَّ ابتدرنا إلى نجْدة ... وهلاَّ استجبْنا لداعي الجهادْ
فإما حياةُ الهدى والإباء ... وإما الشهادة يوم الجِلادْ

« أبا حسن » أرهِفِ الحِسّ مِنْ ... ضمِيرِكَ، واسمع نداء البِطاحْ
تَمَازَجَ فيه هتاف الثّكالى: ... إلى الثّأر، حلّ محلّ النّواحْ
وصوت المؤذن: « الله أكبر » ... يحدو الجُمُوع، ويشفي الجِراحْ
وزمْجَرَةُ البَأسِ في فتية ... لقوا الله زحفاً بأمضى سلاحْ
تلافَوا بعَزْمَةِ إيمانِهِم ... هُزال السِّلاح وخاضوا الكفاحْ
نِدَاءُ بِطاحِ « الجزائر » هذا ... تَئِنّ وتزأر منه الرياحْ
شباب « الجزائر » يُسْتَشهَدُون، ... وللمجد حق، وللنصر ساحْ
وأبناءُ أعمامهم ينعُمون ... بِصفو الحياة وأنْسِ المِلاحْ
أيبذل قوم زكيَّ الدماء ... – وبذل الدماء سبيل الفلاحْ –
وأمْثَلُنَا يَبذل الفضْلَ مِنْ ... نَدَاهُ، ويدعو لهم بالنجاحْ!
ألا يا مروءاتُ فاسْتنفِري ... ذويكِ وهُزّي القنا والرماح
حرامٌ على الحُرِّ طِيْبُ الرقاد ... وليس المباح، الغَدَاةَ، مُباحْ!

« أبا حسن » قد أطلْتُ الشكاة ... ولا غُرْوَ، فالخطب خَطب جَلَلْ
وما بالشكاة تُلاقى الخطوب ... ولكنّها صُحبةٌ تُهْتَبَلْ*
فبَثّ الشَّكاةِ إلى ذي المُرُوءةِ ... يُسعفُ في شَحْذِ روح الأمَلْ
يُداري الهُموم وَيَشْفي الكُلُوم ... ويُرْوي الصّدى ويُريحُ المُقَلْ

« أبـا حسـن » لسـتُ فـي مِرْيَـةٍ ... مـن العـزم، لكننـي فـي وجـلْ
قـد اسـتعجل القـومُ مـا اسـتعجلوا ... وقـى الله خطـوَهُم مـن زلَـلْ
ومـا الأمـر مـن شأنِهـِم وحـدهُم ... ولكنـه شـأنُ خيـر المِلَـلْ
ومـا « وحـدة » العُـرْبِ شَـأْوٌ يسـيرٌ ... ولكنّـه بَعْـثُ نجـم أفَـلْ
أرى الـدّهر قـد جـدّ فـي أمرنـا ... فيـا ويـل تـدبيرنا إن هـزلْ
إذا اخْـتلّ شـيئاً بنـاءُ الأسـاسِ ... تضـاعف فـي الصـرح ذاك الخلـل
فـلا بُـدّ مِـن رَأبِ* كـُلِّ الصّـُدُوع ... وجمْـع الصّـفوفِ ودرء العِلَـلْ
ولا بـدّ مـن قصـدِ ذاتِ الإلـه ... وحشـد القـوى ليصِـحّ العمـلْ

٥

غير مباح

جدة: ١٣٧٧ــ ١٩٥٨

غير مباح

زنـــدكِ العـــاري ومـــا مِـــن ... نافـــــذاتِ الثـــــوبِ لاحْ
وكنُـــوز الحُسْـــنِ مـــا بـــين ... التبـــــاسٍ واتـــــّضاحْ
فـــــي ثنايـــــا وزوايـــــا ... وَنِجـــــادٍ وبِـطَـــــــاحْ
وَأزاهيـــــرُ خُزامـــــى ... وشَـــــقيقٍ وأقـــــــاحْ
وانســـيابُ الجِـــيدِ فـــي.. ... أعْطَـافـــكِ السّـُمْر المِـلاحْ
ووِثَـــــابُ الطيـــــر فـــــي ... غُصـــنكِ خفـّــاق الجنـــاحْ
طـــــافراً فـــــي نَـــــزَقٍ.. ... الثـّـائِر، مَكبُـوحَ الجِـماحْ
وجـــديلات مـــن الشـَّـــعْر ... .. بـــدَتْ رَغْـــم الوشـــاحْ
راقصـــاتٍ مـــن تـَثـَـــنِّيكِ ... .. ومـــن خـَفـْـقِ الريـــاحْ
وسُـــــويْعَاتُ صـــــفاءٍ، ... فـــــي مســـــاء وصـــــباحْ
وحـــــديث وحكايـــــات ... .. ولـــــــَحْنٌ* ومُـــــزاحْ
والـــذي أضـــمره اللفـــظ ... .. وعنـــه اللـــَّحْظُ بـــاحْ
والعيـــــون الســـــاحرات ... السّـــــاقياتُ الـــــروح راحْ
فـــــي التماعـــــات رُؤاهـــــا ... نـَـــــزَواتٌ* وَطِمـــــاحْ*
هِجْـــنَ فـــي أعمـــاقِ نفســـي ... ظمـــــأً غَيـــــرَ مبـــــاحْ

٦

جندي

حلب: ١٣٧٨ــ ١٩٥٨

جندي

كـــم ذا غصصـــتُ مكـــابراً ... فـــي رد آهـــاتي لصـــدري
وقهـــرتُ حنجرتـــي لأضـــحك ... فـــي بُلهْنِيَـــةٍ وبـــشْرِ

فتبسّـــمَتْ صـــور المســـرّة ... فـــي شـــفاهي بـــين صـــحبي
والهـــم يربـــو مـــلء قلبـــي! ... بـــل يكـــاد يـــذيب قلبـــي!

ولكـــم تكلفـــتُ الحيـــاة ... ومـــا التكلّـــفُ لـــي ســـجيّهْ
لكـــن تمـــرّد فـــي دمـــي ... روح الإبـــاء علـــى الدّنيّـــهْ

عُهِـــدَتْ إلـــيّ أمانـــة، فـــي ... أن أعـــيش؛ أجـــل، أمانـــهْ!
فَـرَعَـيْتُـهـا، والـعيـش عـبءٌ ... والرجولـــة لـــي حَصَـــانهْ

أحيـــا بإيمـــاني كجنـــدي ... .. يكـــافح فـــي جَـــلادَهْ
عـــن قومـــه وبـــلاده ... لكـــنّ بغيتـــهُ الشـــهادهْ

روح تحيّـــر، بـــين .. ... غربتـــه، وثورتـــهِ، وحزمـــهِ
وجُمُوحِـــهِ ، وطموحِـــهِ ، ... والـــدّهر يَعْـــزِمُ غيـــر عزمـــهْ

والـــنفس، فـــي ظمـــأ الهـــوى ، ... يشـــدو لهـــا المجهـــول لحْـنَـــهْ
عَصَـــفَ الحنـــين بهـــا .. ... فأنّـــت، ثـــم آبَـــتْ مطمئنّـــهْ

قـــدَرٌ؛ وأيّ ســـفيهِ رَأيٍ ... يـــدّعي قهـــر المُقَـــدّرْ؟!
طاوعتـــهُ فـــي عـــزّةٍ ... مـن فـي الـورى غيـري مُخيّـرْ؟!

تـــأبى المـــروءة أن أجـــور ... .. وحكمتـــي تـــأبى النِّطاحـــا
فأظـــلّ، لا مستســـلماً، ... سِلْـــماً، ولا ألقـــي ســـلاحا!

٧

كرامة

حلب: ١٣٧٨ــ ١٩٥٨

عام يمر على مغادرتي السلك السياسي، لخلاف في المبادئ مع الحاكمين.
وحدي في « جبل الأربعين » شهراً من الخريف.
أعود إلى « حلب » ، وقد تشكلت وزارة جديدة، فيها أخ كريم صميم. تسألني « رصينة » أختي: كيف أقضي الأيام وماذا سأعمل...؟!.
وتشير أمي، رغم إبائها، بأن أكتب إلى الأخ الوزير، تذكيراً بنفسي!
وكنت في هموم أترقّب طفلي التاسع، وأرقب بمرارة، اضطراب سياسة الحكم في البلاد:

كرامة

جاوزتُ سن الأربعين ... يا نفس هلا ترْعوينْ؟
ضيّعتِ عهد صباي همّاً ... في الحنين وفي الأنينْ!
تُشكى النفوس وتُجتوى* ... من سيرها فيما يشينْ
أما أنا فشكوت نفسي ... من قناة لا تلينْ
قد أرهقتني بالعُلى ... فعسى أكون بها القمينْ*

أنا لا أبرِّئها، ولكنّي ... .. أحاذرُ ما يَهينْ
أما الجمال فما له عن ... أعيُني من حاجِزينْ
لَمَمُ* الهوى، المعْفُوّ عنه ... .. وفي العيون له معينْ*
ذاتَ الصِّبا والحُسن يا ... أخْتَ السّنا والياسَمينْ
إني لأفهم من لَحَاظِكِ ... في الحشا ما تكتُمينْ
وأرى بنهْديْك اللذين ... توثّبا في الواثبينْ
من سرِّ قلبك والصَّبابة ... ما حَجبت عن الخدِينْ*
أرنو إليكِ كما رنوْتِ ... وأشتهي ما تشتهينْ
لكنني لا أستكين ... لِنزْوَتي، لا أستكينْ
زجر النفوس عن التّمادي ... .. في الهوى طبع متينْ
لي في مضاء العزم صبر ... إنه كنز ثمينْ

أختي « رصينةُ » قد سألتِ ... عن الذي لا تجهلين:
عمّا أزاولُهُ وأحْيا ... فيهِ؟ هلاّ تعلمين!؟
في غمرة العُمُر المبَدَّد ... .. في التوافه يا « رصينْ »
أحيا بظلِّ كفاءتي ... وملاءَتي كالمُمْلِقينْ
أحيا غني النفس في ... شَمَمِ الأباةِ المُعوزِينْ
ولعلّ ذا ما أستحق، ... ونِعمَ أجْرُ العامِلينْ!!
أو أنّ لي « رجعيّةً » ... أدْعى بها في « الجامِدينْ » !

مُثُـــلٌ أديـــن بهـــا، ومِثْـــلِي، .. لا ينـــوء بمـــا يـــدينْ
مُثُـــلٌ مـــن الخلـــق القـــويم ومبْـــدَأ حُـــرٌ وَديـــنْ
لِـــمَ لا أماجِـــنُ أو أخـــادِن .. أو أداهِـــنُ أو أمـــينْ*!
لـــم لا أكـــون معربِـــداً مترديـــا فـــي العـــابثينْ؟!
هـــذا جزائـــي بَـــلْ جَـــزاءُ .. الثـــابتين الســـابقينْ!
الصـــادقين عُهُـــودَهُم المُخْـــلِصِين الناصـــحينْ!!

أختـــاه؛ قـــد صـــارت مبـــادئ .. مِثْـــلِنا فـــي الغـــابرينْ
وتطلّـــبَتْ روح « التّـــجَدّدِ » نَبْـــذَ ســـير الســـالفينْ!
« شـــيم الأواخـــر » مطلـــبٌ لا ينبغـــي « للأولـــينْ » !
فالـــدّينُ والخُلُـــقُ المتـــين حُثَـــاث* عهـــد الأقـــدمينْ
والخالـــدون؛ خُرافَـــةُ الماضـــي ومـــا مـــن خالـــدِين
إلا « رعـــاة الشـــعب » روّاد .. الكفـــاح « الكـــادحين »
المســـتمدّين الهدايـــة من « لينين » أو « استالين » !
ذخْـــرُ الـــبلاد هُـــمُ ، وغيـــرهم صـــدى المســـتعمرين
وصـــنائعُ الأعـــداء رَهْـــطُ .. الخـــائنين المـــارقين!

لا ضـــيْر يـــا أختـــاه أنْ أحيـــا حيـــاة الزاهـــدينْ
مُتَجَنِّبـــاً رَهـــج* الزمـــان كـــأنني ليـــث رَهِـــينْ
فكرامـــة الإنســـان أجْـــدى مـــن كنـــوز الكـــانزينْ
وترفّـــعُ المضـــطر أســـمى مـــن طمـــوح الطـــامحينْ

كـــم ليلـــةٍ أحيَيْتُـــها متوجِّـــداً فـــي « الأربعـــينْ »*
مُتَـــفكراً مُتَـــذكّـــراً مُســـتعبراً جـــمّ الحنـــينْ
مســـترجعاً مـــا كـــان مـــن أمـــري علـــى مـــرّ الســـنينْ
عمـــل بـــذلتُ لـــه قصـــارى.. الجهـــدِ بـــذل الصـــادقينْ
أخْـــلصْتُ لا مُتكلِّـــفاً فَأثَـــرْتُ غيـــر المخلصـــينْ
واسْتَـهْدفَتْـــنِي فـــي الحيـــاة ســـهامُ بغـــي الكائـــدينْ
وإذا الـنـفـــوس تـهـــافـتَـتْ أَلْـفَـيْـتُـــنِي فـــي الثـــابتينْ
أللهُ يعلـــمِ والملائِـــكُ .. حاسِـــبِين وكـــاتبينْ
بـــين الـــوزارة والســـفارة* .. مـــا لقيـــتُ مـــن الســـنينْ
وتشـــرّدي عـــن مـــوْطني والبعْـــدِ عـــن أمِّ البنـــينْ
وعـــن الصـــغار شَـــغَـــافِ قلبـــي .. الـــدّارجين الـــزاحفينْ
وتَـجَـــرُّعِي غُصـــصَ النَّـــوَى وتصبّـــري فـــي الصـــابرينْ
والحَـــيْنُ* يرقُـــبُني وأرقُـــبُ .. أمْـــرَهُ فـــي كـــلِّ حـــينْ
حتّـــى إذا مـــا زلـــزل.. الـــرحمن عـــرشَ الظـــالمينْ
وتســـابَقَ المُتَـــناهِبُون .. وأصـــبحوا فـــي الحـــاكمينْ

وتقسّـــمُوا مـــا بيـــنهم ... أسْـــلابَ قـــوم ذاهبـــينْ
حَـــبسَ التّـرفـّـُـــع خُطـــوتي ... فوجدْتـــُنِي فـــي المُحْجِـــمِينْ
ودُعِـــيـــتُ للجُـــلـَّـــى* فـــلـــم ... أحْجِـــم وغِظـــتُ الحاســـدينْ
وبـــذلتُ نفْســـي دونَ قصـــدٍ* ... .. فـــي حمـــى البلـــدِ الأمـــينْ
بِـتـــذلـّـُلِـــي لـلـــه ذلـَّـلـــت ... .. المنـــــى للعابـــــدينْ
الزائـــــرين الـــــذاكرين ... العـــــاكفين الطـــــائفينْ
أنـــا لســـتُ أزْعُـــمُ أنّنـــي ... وفـــيَّيتُ حـــق الوافـــدينْ
جُهْـــدُ المُقِـــل ومـــا علـــيَّ ... .. فمـــا أنـــا فـــي الموســـرينْ
الله يجبـــر عجـــز مثلـــي ... وهـــو خيـــر الجـــابرين

غـــيظ العُـــدى فـتألـَّـبوا ... وتـــدبروا نصـــبَ الكمـــينْ
والشـــرّ ُ أقـــدَرُ فـــي التـَّألـّـُـب ... .. إنـــــه داءٌ دفـــــين
قـــد أرجفـــوا فـَنـَـداً* كثيـــراً ... .. ضـــل ســـعيُ المـــرجفينْ
وظفـــرتُ فـــي التمحـــيص* مـــا ... ظفـــروا* عُـــلايَ بمـــا يـــدينْ
فعـــــدا كبيـــــرُهُم علـــــيّ ... .. وإنـــه « كـــبش ســـمينْ»
قـــــد نـــالـَـــهُ ويَـنـَالـُـــهُ ... ورفاقـــه العـــدلُ المبـــينْ
نزعـــوا « الســـفارة » مـــن يـــدي ... فمضـــيت مرفـــوع الجبـــينْ
لـــم يرتفِـــع شـــأني بهـــا ... ورفعتهـــا فـــي الـــرافعينْ
وسَـــلـَـلـْتـُهُـــم مـــن خـــاطِري ... سَـــلَّ القـــذاةِ مـــن العجـــينْ
ولـَـــزِمْتُ خِـــدْري* فـــي إبـــاءٍ ... .. شـــيمة الطبـــع الـــرزينْ
ولقـــــد أضـــــيق بعُزلتـــــي ... والأســـدُ تـــبرَمُ بـــالعرينْ
ويَـــذودُ عـــن جَفـْـــني الكـــرى ... هِمَـــــم وهـــــمٌ ذو رنـــــينْ
هَـــمّ ُ الثمانيـــــة الصِّـــــغار ... .. وبعـــد تاســـعهم جنـــينْ
وهمـــومُ قـــومي فـــوق همِّـــي ... .. تمـــلأ القلـــب الحـــزينْ
هِمَـــــمٌ تحـــــرِّق مُهْجَتـــــي .. ... الحيـــرى وتأخـــذ بـــالوتين*

ولقـــــد تـــرى أمِّـــي تـَقـَـلـَّـبَ ... .. جبهتـــي فـــي الســـاجدينْ
وتـُحِـــسّ ُ، رغـْـمَ تـَحـفظِـــي ، ... بؤســـي بباصـــرة الفطـــينْ
فتقـــولُ أمّـــي: يـــا بُنَـــي ... .. اكتـــب إلـــى الخِـــلِّ الأمـــينْ
فـلـعـلـَّـــهُ، ولـَعَـلـَّـهـــا، ولـَعَـــلَّ ... .. كربـــــك أن يلـــــينْ
أمّ ٌ يـــــــدقّ ُ دعـاؤهـــــا ... بـــاب الســـماء علـــى يقـــينْ
نهضَـــتْ بعبئـــي مـــذ درجْـــتُ ... .. نهـــوض ذي شـــغف أمـــينْ
وتعهّـــدَتْ، وأبـــي، ســـجايا .. ... الخيـــر، والخـُـــلقَ المكـــينْ
بـــذلا ومـــا ضـــنَّا فكيـــفَ ... .. أكـــون فـــي الحمـــد الضـــنينْ
إنـــي إذا أنـْفـَقـْـــتُ عُمْـــري ... شـــاكراً لهمـــا مـــدين

يـــا أمَّـــتا، هـــل يســـتخِفّ ُ .. الحـــب مـــن رأي الرصـــين؟!
ويُسَـــوِّغُ الإشْـــفاق غـَـــضَّ .. الطـــرف عمـــا لا يـــزينْ؟!
أدَعَـــوْتِنِي، وهـــواي يكـــره .. فـــي العلـــى مـــا تكـــرهينْ
أدعـــوتِني للبـــذلِ مِـــنْ نفســـي! ونفســـي لا تلـــينْ
أنـــا لا أذكـــرُ بـــي صـــديقاً ..لـــيس لـــي فـــي الـــذاكرينْ
إن كـــان ذا جـــاهٍ فـــإنَّ .. الله ذو الجـــاه المبـــينْ
يـــا أمَّتـــا إنـــي مـــن الـــرحمن .. فـــي حصـــن حصـــينْ
علـَّمْـــتِنِي حِفـــظ الكرامـــة ؛ ســـوف أحفظهـــا كـــدِينْ
لـــن أبـــذِلَ الـــنفس الأبيَّـــة .. للقريـــب وللقـــرينْ
أللهُ حســـبي مـــن معـــينٍ .. إنـــه نِعـــم المعـــينْ

٨

زفرة

حلب: ١٣٧٨ ــ ١٩٥٩

أخي الكريم أبا عمر حفظه الله، حدثني الأخ « الدكتور عدنان» عن أثر قصيدتي « كرامة» في نفسك، وعن تعليقك عليها، وقد أوحى ذلك بقصيدة ، هي منك وإليك، أرسلها طياً، آملا أن تكون معبرة عن حقيقة مشاعري، وأن يحسن قبولها لديك

حلب: ١٣٧٨/٧/١٥- ١٩٥٩/١/٢٤ ع

زفرة

أخـــي يـــا عمـــدة الإخـــوهْ ... أخـــي يـــا صـــفوة الصـــفوهْ
لعلـــك فـــي جـــوى بثـــي ... رأيـــتَ بـــوارق القســـوهْ
وفـــي شـــعري – بلحـــن القـــول* - ... شِـــمتَ* ملامـــح الجفـــوهْ
فقلـــت لصـــحبنا لمـــا ... نـــأت بـــي عـــنكمُ خلـــوهْ:
يُعَـــرِّضُ بـــي! ومـــا فـــي الطـــوق ... مـــن حـــول ولا قـــوهْ
ولـــو أنـــي ملكـــت الطـــول* ... لـــم أحـــتجْ إلـــى دعـــوهْ

أخـــي ، إنـــي لأعلـــم، فـــي ... وفائـــك، إنـــك القـــدوهْ
فلـــم أقصـــد – وحـــق الـــود – ... شـــدَّ عزيمـــة رِخـــوْهْ
لأنـــك فـــي ســـجايا الخيـــر ... عنـــديَ تبلـــغ الَـــذروهْ
ومـــا كـــان الـــذي قـــد قلـــتُ ... – لمّـــا قالـــت النســـوهْ –
بلمـــــز* أو بتعـــــريض، ... معـــاذ الحـــق والحُظـــوهْ
ولكـــن زفـــرةً حـــرَّى ... وأم تبتغـــــي نجـــــوهْ
وقلـــب الأم قـــد يرجـــو ... ولـــو لـــم تنفـــع الرجـــوهْ
ونفـــس الحـــر شـــامخة ... تعـــافُ البغـــي والســـطوهْ
وقـــد تشـــتد عزتهـــا ... فتبغـــي حقهـــا عنـــوهْ
فـــإن ضـــن الزمـــان بـــه ... – وإن الـــدهر ذو نـــزوهْ –
ومـــر العمـــر فـــي شـــظفٍ ... يغالـــب مـــره حلـــوهْ
فـــلا عتـــب علـــى حـــر ... إذا مـــا قلبـــه أوّهْ*
وبعـــض تـــأوه الإنســـان ... معـــدود مـــن القـــوهْ
وللإقبـــال أيـــام ... وصـــحو يعقـــب الغفـــوهْ
وإن الـــدهر ذو غِيَـــر ... وروحتـــه لهـــا غـــدوهْ
وإن الـــدهر دولاب ... يـــدير الســـعد والشـــقوهْ
وريـــب الـــدهر، عنـــد.. ... الصَّـــبر والإيمـــان، كـــالرُغوهْ
وصـــبر الحـــر، مهمـــا مـــر، ... صـــبرٌ مزجـــه نشـــوهْ
وإن المـــرء، روح المـــرء ... لا جســـم ولا كســـوهْ

أخـــــي فاعـــــذر أخـــــا ودٍ ... بـــذكرك فـــي الأســـى نَـــوَّهْ
فلســـتَ القصـــد فـــي لمـــزي ... ولـــيس ســـواك مـــن إخـــوهْ
ولكـــن كنـــتم فـــي ســـجن ٍ ... .. هـــمِّ القلـــب كالكُـــوَّهْ
يَـــنِثّ* الحـــر لوعتـــَه ... – وغيـــر الحـــر مـــن مَـــوَّهْ –
صـــريحا بـــين عُزوتـــه ... وإنـــك أكـــرم العـــزوهْ

أخـــي قـــد ضـــج فـــي قلبـــي ... أســـاه، وأج فـــي قســـوهْ
فلاحـــتْ منـــه فـــي شـــعري ... ملامـــح أشْـــرِبَتْ جـــوهْ
أمـــا للحـــر أن يأســـى ... لخـــرق لـــم يطـــق رفـــوهْ
وعـــيش مالـــه دفـــع ... يجـــافي دوُه دوَّهْ*
فهـــل لأُخـــيَّ أن يرضـــى ... وإن رضـــاه لـــي ثـــروهْ
وقـــد محَّضْتـــُهُ صـــدقي ... وحـــق الســـر والجلـــوهْ
فـــإن لـــم يرضـــه عـــذري ... فـــإني طالـــبٌ عفـــوهْ

أخـــي ناشدتـــُك الـــرحمن ... .. والإخـــلاص والنخـــوهْ
ألســـتَ تـــرى بـــأن الظلـــم ... .. فـــي صـــرح العلـــى فجـــوهْ
وأن «الحكـــمَ» قـــد يهـــوي ... إذا مـــا جـــار، فـــي هـــوهْ
ألا مـــا أعمـــَهَ الإنســـان ... عنـــد تحكـــم الشـــهوهْ!

جواب

دمشق: ١٣٧٨ــ ١٩٥٩

أخي الكريم أبا البراء حفظك الله

سلام الله عليك ورحمته وبركاته، وبعد: فقد اجتمعنا « أعضاء الندوة » منذ بضعة أيام في دار الأخ الكريم « الدكتور عدنان » وقرأنا قصيدتك الأخيرة، فأيد بعضهم اقتراحك بأن يكون جوابها شعراً.

وليلة أمس، سهرنا في دار الأخ الكريم الأستاذ « صلاح الدين » وقرأت لهم الجواب فوافقوا عليه...

دمشق: ١٣٧٨/٩/٩ ــ ١٩٥٩/٣/١٩ ن.ق

جواب

قــرأت الشــعر فــي « النــدوهْ » فهــــزّ بســــحره الأخــــوهْ
فقــــالوا: شــــاعر جلّــــى وقــــالوا: ثــــائر أوّهْ
وقلــت لهــم: « أخــو روحــي » بــــودِّي طالمــــا نــــوَّهْ
ورحــــت أردد الأشــــعار .. فــي زهْــو وفــي نشــوهْ
فشِــمْت العتْــبَ مُنفجــراً يعكِّــر « رعــدُه » جــوّهْ
ودوى الشــجوُ فــي قلبــي فشــارك صــاحبي شــجوهْ
ومــا يشــجو كــذي شــمم بــلا حــول ولا قــوهْ

حنانــك يــا أخــي وارفــق بـــ«أم تبتغــي نجــوهْ»
جــواد الحــظ إن يكبــو فــلا تــذهب بــك الكبــوهْ
ونجــم الســعد إن يخبــو ســيلمَعُ بعــد ذي الخبــوهْ
وإيمــان الفتــى صــبر ومثلــك منــه فــي الــذروهْ
فــلا تكثــر مــن الشــكوى فمــا تُــجدي « الفتــى » شــكوهْ

تســائلني بحــق الحــب .. والإخــلاص والحُظــوهْ:
« ألــيس الظلــم للأحــرار .. فــي صــرح العُــلى فجْـوَهْ » ؟
وأقســم: أنّ مــا تلقــى ينــوء بصــاحب القــوّهْ!
أضــاعوك، وقــد خســروا بحجبــك عــنهمُ ثــروهْ
فأنــت الكنــز لــو كشــفوا وأنــت النّــبل والنّخْــوهْ
فــلا تيــأس فــروح الله .. تنجيــك مــن النّــزوهْ
ولا تخضــع لغيــر الله ذي الجبــروت والسـطْوهْ
وحســبك أن « نــدوتنا » تــراك – علــى المــدى – قــدوهْ

٩

قدر

حلب: ١٣٧٨- ١٩٥٩

كيـــف أشـــكو وأنـــا.. المغمـور بالنّعمـاء غمـرا؟
كيـــف لا أشـــكو، وقـــد.. ضـيعتُ بالأوهـام عمـرا!

كيـــف أشـــكو وجمـــال.. الكـــون يجلـــو ناظريّـــا!
كيـــف لا أشـــكو، وقصـــدي – أبـــداً – يعـــدو قصـــيّا !

كيـــف أشـــكو، والهـــوى.. يخفـــق فـــي قلبـــي وجيبـــا
كيـــف لا أشـــكو، وقلبـــي فـــي الهـــوى يحيـــا غريبـــا!

كيـــف أشـــكو والســـماوات .. العُـــلى مرتـــع روحـــي
كيـــف لا أشـــكو، وأيـــامي .. نـــزوح فـــي نـــزوحِ !

كيـــف أشـــكو ولـــذاذات .. المنـــى تـــنعش نفســـي
كيـــف لا أشـــكو، وهـــم الكـــون يستأصـــل أنْسِـــي!

كيـــف أشـــكو ومعـــاني.. الخيـر تربـو فـي ضـميري
كيـــف لا أشـــكو، وروح.. الشـر أجّـتْ فـي الأثيـر*

كيـــف أشـــكو، وبـــلادي درجَـتْ تُنْـشِئ وحـدهْ
كيـــف لا أشـــكو، وقـــومي عـــدد مـــن غيـــر عـــدّهْ!

كيـــف أشـــكو، وصـــدى.. الله بأعمـــاقي يـــدورُ
كيـــف لا أشـــكو، ونفســـي مزجُهـــا نـــارٌ ونـــورُ!

كيـــف أشـــكو، كيـــف لا.. أشكو، ومـن أشكو، ومـمّ!؟
وأنـــا فـــي فلـــك.. الأكـوان طيـف قـد ألـمّ!!

أنـــا فـــي قافلـــة لا تنتهـــي إلا بعيـــدا
كـــائن أرْغِـــمَ أن.. يحيـــا، شـــقياً أم ســـعيداً

قـــدر أمواجـــه تهـــدأ .. آنـــاءً وتَـــصْخبْ
وأنـــا، فـــي لُـجِّـــه.. الواســع، أرتــاح وأتعــب

١٠

شاعر

حلب: ١٣٧٨ ــ ١٩٥٩

شاعر

شـارد اللـب، غريـب الـروح، .. فـــي الأفـــلاك حـــائرْ
ظمـــئٌ لا يرتـــوي، هيمـــانُ .. بـــــالمجهول، شـــــاعرْ
هـــو كالبركـــان فـــي هدأتـــه .. والغـــــــورُ فـــــــائرْ
ثـــائر الأعمـــاق، والبســـمةُ .. لاتجفـــــوهُ، صـــــابرْ
كـــــم تمنـــــى، والليـــــالي لأمانيـــــــــه مقـــــــابرْ!؟

١١

الهم المقدس

حلب: ١٣٧٨ ــ ١٩٥٩

الهم المقدس

أمـــي وقـــد جـــازت ثمانينهـــا ... واستشـــرفتْ ترمـــق تســـعينها
الضـــعف فـــي أعصـــابها راجـــف ... والعمـــر قـــد أوهـــن تكوينهـــا
والســـقم طـــواف بأعضـــائها ... يســعى ولا ينســى «شـــراينها»
واحـــدودب الظهـــر وأعباؤهـــا ... فـــي وجههـــا خطـــَّتْ مضـــامينها
أمـــي وكـــل الخيـــر فـــي طبعهـــا ... والبِـــرُّ قـــد زان لهـــا دينهـــا
تحمـــل همـــي وهمـــوم الـــورى ... والفكـــر لا يحصـــي أفانينهـــا
فكيـــف لا أحملهـــا بالحشـــا! ... لا خفـــف الله موازينهـــا

ومُـــزَعْ القلـــب وهـــم « تســـعة» ... كـــدرج صـــيغ مـــن النـــورِ
طفـلٌ وعـبء الطفـل يـوهي القـوى ... أحلـى المنـى حُفـَّت بـديجورِ
هـــمٌ لـــه فـــي الـــنفس قدســـية ... أحيـــا بـــه، فـــي حلـــم مـــذعور
العقـــل فـــيهم والهـــوى لائـــبٌ* ... مـــا بـــين ملهـــوف ومســـرورِ
ضممتـــُهمْ فـــي خـــافق متعـــبٍ ... بالحـــب والإيمـــان معمـــورِ
أحنـــو علـــيهم والهـــا مشـــفقا ... مـــن عـــالم بـــالبغي مســـعورِ
غـــذوتهم روحـــي، وأودعـــتهم ... ربـــي، وسلـــَّمت لمقـــدوري

والأهـل مـن «عـم»، علـى دائـه ... وعجـــزه، يـــدلي بآرائـــهِ
يريـد أن يـدنِيَ مـا الـدهر قـد ... قضـى علـى النـاس بإقصـائهِ
و«عمـــةٍ» مشـــلولةٍ عزمهـــا ... كـــالعودِ قـــد جـــرِّدَ مـــن مائـــهِ
إرادة قـــد فقـــدتْ وعيهـــا ... تعيـــثُ فـــي البيـــتِ وأرجائـــه
وهـــذه «الأخـــت» التـــي ســـعيها ... بينهمـــا فـــاض بأخطائـــهِ
مخلصـــة خطـــاءة بـــرةٌ ... تضِـــيق بالبيـــت وأعبائـــهِ

والـــرَّحِمُ الأدْنـــوْنَ كـــل لـــه ... شـــجونه فـــي البعـــد والقـــُربِ
تنـــأى بـــه بســـمة أيامـــه ... ويـــدَّني فـــي ســـاعة الكـــربِ
سَـــرَّاؤه اخـــتص بهـــا نفســـه ... وهمهـــم أجمـــع فـــي قلبـــي
ســـار، بكـــلٍّ، فـــي المنـــى، ركبُـــهُ ... واحترتُ* واحتارت مُنى ركْـبي
مكبـــل الخطـــو بأعبـــائهم ... تـــنهض كـــالعملاق فـــي دربـــي
فـــإن دهـــاني الكـــرب لـــم يســـعفوا ... وجعلـــوا «ذنبـــي علـــى جنبـــي*»
مـــروءة تـــُرهق أربابهـــا ... ومرجـــع الأمـــر إلـــى الـــربِّ

فـــي وحـــدتي؛ والصـــمتُ لـــفَّ
إلا النســـــيم فقـــــد ســـــرى
فتـــــرنح* الغصـــــن المطـــــل

فـــي وحـــدتي؛ والـــنجم بـــين
وشـــعاعه مـــن خلـــف نافـــذتي
يمضـــي إلـــى صـــحف الغمـــام

فـــــي وحـــــدتي؛ وحبيبتـــــي
أمـــــي التـــــي آنســـــتها،
ذهبـــــتْ تنـــــام لســـــاعة

فـــي وحـــدتي؛ والـــنفس مرســـلة
ألقـــتْ قنـــاع البـِشـــرْ تســـتر
أمـــــي تنـــــام فمـــــا علـــــى

فـــي وحـــدتي؛ والفكـــر فـــي..
والهـــــم يمثـــــل حيثمـــــا
فـــي أعينـــي هـــمٌ يَـــؤُجّ

فـــي وحـــدتي؛ والقلـــب فـــي
والجـــو مـــن أرج الربيـــع
وهـــوايَ ملتبـــسُ المعـــالم

فـــي وحـــدتي، فـــي غرفـــة
.. وكأنهـــا مـــن هـــامش الـــدنيا
وعِبـــؤهم فـــي كـــاهلي كلهـــمْ

.. الكـــونِ فـــي رفـــق وخـــيَّمْ
متهاديـــاً، وشـــدا ورنـَّـــمْ
.. علـــي كالشـــبح الملثـَّـــمْ

.. الغـــيم يبســـم ثـــم يغـــربْ
.. يخالســـــني ويهـــــربْ
.. كأنهـــا نُشِـــرت ليكتـــبْ

أمـــي التـــي أهـــوى هواهـــا
وسَهـــِرتُ أنهـــل مـــن رضـــاها
والنـــور يشـــرق مـــن تـــُقاها

.. العِنـــان علـــى الســـجيهْ
.. فيـــه آلامـــاً خفيـــهْ
جفنـــي إذا أرِقَ العشـــيهْ!

الآلام والآمـــال شـــاردْ
حولـــتُ أنظـــاري كمـــاردْ
.. وفـــي الضـــلوع الهـــم واقـــدْ

خفقاتـــه ظمـــأ وفـــوْرَهْ
.. يحـوك فـي الأعمـاق ثـورهْ
مُرســـلٌ فـــي الغيـــب غَـــورهْ

فـــي الليـــل تبـــدو نائيـــهْ
.. ثـــوت فـــي هاويـــهْ
تـــذوبُ ســـرَّائي بـــِضرائهِ

١٢

في وحدتي
جبل الأربعين: أريحا ١٣٧٨-١٩٥٩

في وحدتي

فـــي وحـــدتي؛ والليـــل داج .. والســـكون لـــه امتـــدادْ
والـــذكريات تلـــوح كســـلى بـــين أجفـــان الســـهادْ
أصـــداء مـــاض مـــا تـــزال .. تـــئن فـــي خفـــق الفـــؤادْ

وتبينـــت عينـــاي فـــوق.. «الـــراد» فـــي قلـــق فراشـــهْ
وإذا العُبُـــوسُ يـــزول عـــن.. نفســـي، وتلتمـــع البشاشـــهْ

فـــي وحـــدتي؛ أبصـــرتها تلقـــي إلـــى «الـــراد» الشـــفاهْ
وكأنهـــا فـــي نـــوره الـــواني .. تـــرى درب النجـــاه
أو أنهـــا ظمـــأى تعُـــب .. خلالـــه راحَ الحيـــاهْ

فـــي وحـــدتي؛ لاحظتهـــا تصـــغي إلـــى اللحـــن الخفيـــفِ
تحبـــو علـــى بلـــورة «الـــراد» .. المضـــيئة فـــي رفيـــفِ
تعلـــو وتهـــبط وهـــي ترســـلُ .. ثـــم حِسّـــاً كـــالحفيفِ

فـــي وحـــدتي؛ شـــاهدتها بـــين ارتـــداد وانبعـــاثِ
والـــلأي يرهـــق صـــدرها فتظـــل تمعـــن فـــي اللـــُهاثِ
فســـألتها فـــي خـــاطري مـــا تقصـــدين أيـــا خُنـــاثِ*؟!

فـــي وحـــدتي؛ وكأنهـــا فَهـــِمَتْ تســـاؤلَ خـــاطري
فرَنَـــتْ إلـــي وأقبلـــتْ لتـــرفَّ قـــرب محـــاجري
ولهـــى تنـــاجيني وأفهمهـــا .. بـــوحي الشـــاعر ِ

فـــي وحـــدتي؛ عاينتهـــا وعلـــى جناحيهـــا غُبـــار
فـــي ضـــوء «رادي» قـــد أشـــعَّ .. كأنمـــا هـــو مـــن نضـــارْ
تركـــتْ علـــى خـــدي نُثـــارا منـــه، يـــا لطـــفَ النثـــارْ

فـــي وحـــدتي؛ و«الـــراد» أصـــمَتَ .. والفراشـــة فـــوق خـــدي
أطفأتـــه، والليـــل جـــاوز .. شـــطره، ولزمـــتُ ســـهدي
والوجـــد أبهـــم واســـتبد، .. فـــأجَّ فـــي الأنفـــاس وجـــدي

وعلـــى ســـرير مـــن حديـــدٍ ... قـــد جثـــا فـــي زاويـــهْ

فـــي وحـــدتي؛ مـــن يُبْصـــرُ ... الجســم الممــدد فــي الســريرْ
والصـــدرُ يلهـــثُ دون لأي* ... فـــي الشـــهيق وفـــي الزفيـــرْ
تعَـــب الهمـــوم أشـــد مـــن ... تعَـــبِ الجســوم علـــى الضـــميرْ

فـــي وحـــدتي؛ فـــي غرفتـــي ... فـــي وَحشـــةٍ حـــرى كئيبـــه
أرنـــو إلـــى المســـتقبل.. ... المجهـــول، أســـتجلي غيوبـــهْ
وعلـــى الجـــدار تـــرِنّ ُ دقـــة ... .. ســـاعة تمشـــي رتيبـــهْ

فـــي وحـــدتي؛ وأنـــاملي ... «بـــالراد*» تعبـــث دون غايـــهْ
تحبـــو بإبرتـــه رُويـــدا ... .. فـــي مـــداه إلـــى النهايـــهْ
فتـــُشيح نفســـي، وهـــي غيـــرى، ... .. مـــن مهـــاترة الدعايـــهْ

فـــي وحـــدتي؛ وأنـــا أحـــاول ... .. صـــيد لحـــن أشـــتهيهِ
متـــنقلاً بـــين الـــبلاد، ... أطيـــر مـــن تيـــهٍ لتيـــهِ
سَـــدِر* الشـــعور، فمـــا يعيـــه ... .. كأنـــه مـــا لا يعيـــهِ!

فـــي وحـــدتي؛ وأنـــا غريـــق ... . فـــي اللحـــون وفـــي الشـــجون
غاضـــت حـــدودي عنـــدما ... أسلـــَمتُ للحلـــم العيـــونْ
وكـــأنني فـــي اللانهايـــة ... لســـتُ أفقـــه مـــا أكـــونْ!

فـــي وحـــدتي؛ وأنـــا علـــى ... عتبـــاتِ نـــوم شـــبه هـــادئْ
لا أســـتبين حقيقتـــي ... أنـــا هـــانئ أم غيـــر هـــانئْ
رَعَشَـــتْ علـــى خـــدي تدغدغـــهُ ... .. ملامـــسُ مـــن مفـــاجئْ

فـــي وحـــدتي؛ انتبـــه الشـــعور ... علـــى اختلاجـــات الحشاشـــهْ
وتبينـــت عينـــاي فـــوق ... "الـــراد" فـــي قلـــق فراشـــة
وإذا العبـــوس يـــزول عـــن ... نفســـي ، وتلتمـــع البشاشـــة

فـــي وحـــدتي ابصـــرتها ... تلقـــي إلـــى "الـــراد" الشـــفاه
وكأنهـــا فـــي نـــوره الـــواني ... تـــرى درب النجـــاه
أوأنهـــا ظمـــأى تعـــب ... خـــلال راح الحيـــاه

فـــي وحـــدتي لاحظتهـــا ... تصـــغي إلـــى اللحـــن الخفيـــف
تحبـــو علـــى بلـــورة "الـــراد" ... المضـــيئة فـــي رفيـــف

تعلـــو وتهـــبط وهـــي ترســـل ثـــم حســـا كـــالحفيف

فـــي وحـــدتي شـــاهدتها بـــين ارتـــداد وانبعـــاث
والـــلأي يرهـــق صـــدرها فتظـــل تمعـــن فـــي اللهـــاث
فســـألتها فـــي خـــاطري ماتقصـــدين ايـــا خنـــاث ؟!

فـــي وحـــدتي وكأنهـــا فهمـــت تســـاؤل خـــاطري
فرنـــت إلـــي وأقبلـــت لتـــرف قـــرب محـــاجري
ولهـــى تنـــاجيني و أفهمهـــا بـــوحي الشـــاعر

فـــي وحـــدتي ، عاينتهـــا وعلـــى جناحيهـــا غبـــار
فـــي ضـــوء "رادي"قـــد أشـــع كأنمـــا هـــو مـــن نضـــار
تركـــت علـــى خـــدي نثـــار منـــه ، يـــا لطـــف النثـــار

فـــي وحـــدتي و " الـــراد" أصـــمت والفراشـــة فـــوق خـــدي
أطفأتـــه ، و الليـــل جـــاوز شـــطره و لزمـــت ســـهدي
و الوجـــد أبهـــم و اســـتبد فـــأج فـــي الانفـــاس وجـــدي

فـــي وحـــدتي؛ ثـــار الحنـــين .. يلـــوب* فـــي أعمـــاق قلبـــي
يرجـــو لـــه ســـكناً يلائـــم .. مشـــربي وينيـــر دربـــي
ويكـــون رائـــد همتـــي، ويبثّنـــي حبـــاً بِحُـــبِّ

فـــي وحـــدتي؛ حتـــى الفراشـــة .. خلفـــت خـــدي وطـــارتْ
ورمـــتْ بهيكلهـــا علـــى بِلـــوَّر نافـــذتي ودارتْ
ففتحتـــُها حتـــى تطيـــرَ، ولســـتُ أدري أيـــن صـــارت!

فـــي وحـــدتي؛ عـــاد العبـــوس .. إلـــي وانتكـــأت جراحـــي
هـــذي الفراشـــة قـــد مضـــتْ تســـعى مرفرفـــة الجنـــاحِ
سَـــرَحَتْ كمـــا يهـــوى الهـــوى ولبـــِثت مغلـــول الســـراحِ

فـــي وحـــدتي؛ والـــروح فـــي أعماقـــه نصـــب وغربـــه
أرســـلتُ نفســـي فـــي فِجـــاج الليـــل، والآفـــاق رحبـــه
فاستشـــعرتُ بـــالله نفـــح .. ســـكينة فـــي القلـــب عذبـــه

فـــي وحـــدتي؛ ارتـــوتْ الجـــوارحُ .. مـــن نـــدى تلـــك الســـكينه
وأحـــاط بـــي خـــدر عجيـــبُ .. الكنـــهِ، لـــم أعـــرف معينـــه
وكـــأنني فـــوق الغمـــامِ .. أســـيح فـــي دنيـــا أمينـــه

فـــــي وحـــــدتي؛ آمنـــــتُ أنَّ .. الـــنفس بالحرمـــان تصـــفو
فطويـــــتُ أحنـــــاءَ الضـــــلوعِ .. علـــى جـــواي ورُحْـــتُ أغفـــو
والحلـــم يرقـــى بـــي معـــارج .. كلهـــــا ذوق ولطـــــفُ

١٣

مدى

حلب: ١٣٧٨ ــ ١٩٥٩

مدى

ليستِ الكعبة مرمى بصري ... أو مدى قلبيَ في خفقتهِ
هيَ صرح شامخ من حجر ... عزة التاريخ من عزتهِ
أثرٌ يُبْرزُ مجد الأثر ... محور الإسلام في دورتهِ
موئل يرمز عبر الدهر ... لهوى المؤمن في وجهتهِ
وهي لي منطلق للنظر ... يتعالى ثم من ذروتهِ
مصعداً خلف حدود البشر ... مشرئب الغور في صعدته
يتخطى فكر المفتكر ... هائما يسرح في بهجتهِ
نائياً عن ساح دنيا الصور ... باحثاً للروح عن جنتهِ
دائراً فوق مدار القمر ... والنجوم الزهر في رحلتهِ
بصرٌ قد فاق كنهَ البصر ... إذ سما لله في نظرتهِ
حائماً حول شعاب القدر ... يتصدى لسنا بسمتهِ
بؤر النور ونور البؤر ... مَنْجمُ الإشراق في نبعتهِ
نظر ينفذ عبر السُتر، ... ويرى الحق على فطرتهِ
من مرائيه التماع الظفر ... وائتلاق النور من وهجتهِ

١٤

قضاء

جبل الأربعين: أريحا ١٣٧٩ ــ ١٩٥٩

قضاء

أرنو بعين فؤادي، والهوى بصر،   إلى مدى، قاصرٌ عن أفقه النظرُ
أرنو إلى هدف، تاهت معالمه   بين الأماني، وأقصى دَرْبَهُ القدرُ
أرنو إلى أمل، العقل ينكره،   والحدس* يرقبه، والغيب يدَّخِرُ
حيران حيران، يقظان العلى، أرِقٌ   الليل يشهد، والآهات، والسهرُ
توحدي زفرات في السماء لها   صدى نشيج* وعته الأنجمُ الزُهرُ
سرى جَواه إلى لألائها فبدت   كأنها في فراش الصبح تـُحْتـضَرُ

ماذا وراءك يا آفاق من خبر!   سلي الغيوب أما لي عندها خبرُ؟
النفس في غرقٍ، والروح في قلقٍ   والقلب في حُرَقٍ، والرأيُ يصطبرُ
أرنو إلى فلك فوق السماء سما   أجواؤه مِلؤُها الإبهام والخـَدَرُ
كم اشرأبتْ إلى أغواره فكري   تـُريد سبرا* لها فارتدَّتْ الفكر
وكم تطاول عقلي فوق طاقته   غوصا على كنهه، والكنهُ مستترُ!
ينأى ويهرب ما جنَّحْتُ أخيلتي   في إثره، فيضيع الأصلُ والأثرُ!

يا باسط الدهر ممتداً إلى أزل   هل تنقضي غصصي، أم ينقضي الدهرُ
وهل لغربة روحي في الحياة هوىً   يحنو ويؤنسني! أم طابت الحُفرُ؟
ماذا نفيد، وقد جفَّتْ حُشاشتنا   من السنينَ، إذا أندى لنا الوطرُ
هذا زمانك يا آمال فانطلقي   وأشرقي بحياة كلها غُرَرُ
لو أن لي طاعة في الأمر نافذةً   لنلتُ أقصى المنى والعمرُ مزدهرُ
لكنني بقضاء الله مرتهَنٌ   سمعاً وطوعا لأمر الله يا «عمرُ»

يا رب، أين يدٌ تحبو بها كرماً   جزاء من في مُلِمات الهوى صبروا
ظمآنُ ظمآن، والأكوان مترعة   عذبا فراتا، وجوفي ملؤه شرر
متى أبُلّ صدى وجدي، وا حربا*،   للمجد والحب، أين الشمس والقمرُ!

١٥

يا ليل

جبل الأربعين: أريحا ١٣٧٩ ــ ١٩٥٩

يا ليل

يـــا ليـــلُ مـــا فـــي وحـــدتي ... أنْـسٌ ســوى نجــوى نُجومــكْ
أشـــكو لهـــا همـــي وتـــروي ... لـــي فنونـــا مـــن همومـــكْ
يـــا ليـــل قـــد عَشِـــيَت* عيـــوني ... وهـــي تمعـــنُ فـــي عيونـــكْ
وتأوهـــــتْ خفقـــــات قلبـــــي ... ثـــم ذابـــت فـــي لحونـــكْ

فلعلهـــا تســـري مـــع الأنســـامِ ... خلـــف الأفـــق رهـــوا
نغمـــاً يهدهـــد فـــي أنـــاةٍ ... مـــن بظهـــر الغيـــب أهـــوى

ينســـاب فـــي أحلامـــه ... شـــغفاً ولـــذات وســـعدا
ويجـــول تحـــت شـــفوفه ... ويهـــزه نهـــدا فنهـــدا

فـــإذا أفـــاق رنـــا إلـــي ... كمـــا رنـــا قلبـــي إليـــه
قـــد كنـــت أسْـــقِطَ* فـــي يـــديَّ ... وكـــان أســـقِطَ فـــي يديـــه

فتفرقـــــت أســـــبابنا ... ونـــأتْ بنـــا دارٌ ودارُ
نحيـــا علـــى ظمـــأٍ يـــؤجّ* ... كأنـــه فـــي القلـــب نـــارُ

فلعلـــه، يـــا ليـــل، يحـــزم ... حـــين يصـــحو ثـــمَّ أمـــرهْ
يجتـــاز آفـــاق الـــدنى ... ويخـــوض أنهـــار المجـــرهْ*

يســـعى إلـــى قلبـــي يبـــثّ ... .. وجـــيبَه خفقـــاتِ قلبـــهْ
يحبـــو هـــواي هـــوىً وأروي ... .. بالحنـــان غليـــل حُبـــهْ

يـــا ليـــل واهـــا كـــلَّ طرفـــي ... وهـــو يبحـــث فـــي ســـجوفكْ
عـــن طيـــف مـــن يهـــوى هـــوايَ ... .. لقـــد تَغـــيَّبَ فـــي طيوفـــكْ

يـــا ليـــل واهـــاً هـــل أقـــيمُ ... رهـــين حرمـــاني وبؤســـي
عينـــي تـــرى والقلـــب يهفـــو ... والحنـــين يهـــد نفســـي

يـــا ليـــل كـــم مـــن أنَّـــةٍ ... مكلومـــة النبـــرات حـــرَّى
مِـــلْءَ الحنـــاجر حشـــرجتْ ... وتأوهـــت فـــي الليـــل سِـــرا

يـــا ليـــل كـــم مـــن زفـــرة ... صـــعَّدتها مـــن غـــور حبـــي
إثـــر الحبيـــب الســـاذج الغفـــلانِ ... إثـــــر لهيـــــب قلبـــــي

لا الكبـــــــتُ أجـــــــداني ولا ... بثـــي شـــكاة القلـــب أجـــدى
ولَبِثـــــتُ ظمـــــآن الكهولـــــة ... والشـــــباب أذوب وجـــــدا

يـــا ليـــل مـــا لـــي غيـــر حضـــنك ... .. أرتمـــــي فيـــــه أبيـــــا
تتصـــــفدُ الآهـــــات شِـــــعراً ... مـــن لظـــى عمـــري شـــجيا

ســـتظل تـــرُسِلُ فـــي عيـــون ... الزهـــر طـــلا مـــن دموعـــكْ
وأظـــــلُ وحـــــدي ناشـــــجاً ... كالقلـــب يخفـــق فـــي ضـــلوعكْ

١٦

أغوى.. وأتوب

جبل الأربعين: أريحا ١٣٧٩ ــ ١٩٥٩

أغوى.. وأتوب

أرِّقيني أرِّقي أغوارَ .. قلبي، يا جُروحُ
أرجُ المحبوب من زفرتك الحرى يفوحُ
يا حبيبي قد كتمتَ .. الحبَّ لكني أبوحُ
أنا أهوى كل زلاتكَ .. والحُب صفوحُ*
أنا أهواك هوىً في كلِّ آفاقي يلوحُ
أنا أهواك مهيضاً* أنا أهواك أبيا
أنا أهواك قريبا أنا أهواك قَصِيّا
أنا أهواك طَرُوبا أنا أهواك شجيا
أنا أهوى كل حالاتك .. فاسعد يا حبيبُ
وتمتع بي ومتعني فقد كدتُ أذوبُ

يا حبيبي إننا نضحك .. حيناً وننوحُ
يا حبيبي إنما الدنيا .. نزولٌ ونزوحُ
وأحاجٍ، وأحابيلُ .. ورهو، *وجموحُ
ألهذا الروح جسم أم لهذا الجسم روحُ
تعِب العقل وأعياه .. غموضٌ ووضوحُ
فأرحني بين نهديك .. ودع عقلي يعفو
واسترح فوق ضلوعي إنني أهفو وتهفو
فإذا طالت بنا الغفلة .. فالرحمن يعفو
لمٌ* يذهب والذكرى .. مدى العمر تؤوب
نشوة فيها أسى.. كاللحنِ يشجي ويطيبُ

يا حبيبي كم تخيلتك .. والوصلُ طُموحُ
نتساقى من لبانات .. الهوى ما لا نُبيحُ
نمزج الأرواح والأجسام .. مزجاً ونسيحُ
في سماوات من الأحلامِ .. نغدو ونروحُ
كم لحلم مُسْعِد لَذ .. على الصحو رجُوحُ
الذي كان وولى الآن قد عاد خيالا
والخيال الراهن اللذُ .. حياة تلالا
كل ما في الكون لا يعدو .. جسوما وظلالا
يقظتي تستغفر الله .. وأحلامي ذنوبُ
وأنا بينهما حيرانُ .. أغوى وأتوبُ

١٧

ساعتي

جبل الأربعين: أريحا ١٣٧٩ ــ ١٩٥٩

ساعتي

تكتكـــــي يـــــا ســـــاعتي ... إننـــــي فـــــي وَحـــــدتي
قلـــــــقٌ مســـــــتوحشٌ ... أرقـَّـتـــــــني عَبرتـــــي
مُرسِـــــلٌ مـــــن كبـــــدِي ... زفرتـــــي وأنـَّـــــتِي
كيفمـــــا دار بـــــيَ الـــــدهرُ ... .. ألاقـــــى غربتـــــي
ألِفتنـــــــــي وأنـــــــا ... لا أجـــــافي ألفتـــــي
بيـــــدَ أنـــــي مكتـــــوٍ ... بـــــأوام الحرقـــــةِ
ظمـــــأ أورى دمـــــي ... منـــــه خـــــارت قـــــوَّتي
الهـــــوى أجَّ بقلبـــــي ... .. وأضـــــنى مهجتـــــي
والهـــــوى فـــــي نفســـــي ... لاهـــــبٌ فـــــي زفرتـــــي
مـــــارد فـــــي قمقـــــمٍ ... دائـــــب العربـــــدةِ
يتنـــــــزى فـــــــائراً ... باحثـــــا عـــــن كـــــوَّةِ
قـــــد تخطـــــى أضـــــلعي ... وارتقـــــى حَنجَرتـــــي

يـــــا عَـــــذولي فـــــي الهـــــوى ... فـــــي الهـــــوى مـــــا حيلتـــــي
إنـــــه يكمـــــن بـــــي ... منـــــذ كانـــــت خِلقتـــــي
فإبـــــــائي والهـــــــوى ... رُكـــــّبا فـــــي فطرتـــــي
ويـــــدُ الـــــرحمن مـــــا ... مَسَـــــحَتْ جبِـــــلِتي
لـــــم تـــــُصَيرني ملاكـــــاً ... .. عـــــديم النـــــزوةِ
أنـــــا إنســـــان، بروحـــــي ... .. لظـــــى مـــــن شـــــهوتي
كلمـــــا ناديـــــتُ روحـــــيَ ... .. غـــــالبتني طينتـــــي

الـــــدنى تـــــرقص لـــــي ... وأنـــــا فـــــي حجرتـــــي
والمنـــــى تهتـــــف بـــــي ... وأنـــــا فـــــي عزلتـــــي
النـــــدى مِلـــــكُ يـــــدي ... والجـــــوى فـــــي غلتـــــي
كـــــل شـــــيء أشـــــتهي ... ماثـــــلٌ فـــــي حـــــوزتي
لـــــيس مـــــا يمنعنـــــي ... عنـــــه إلا عزتـــــي
عِـــــزة أحيـــــا بهـــــا ... فـــــي إســـــار الحســـــرةِ
صـــــابرٌ لكننـــــي ... مشـــــفقٌ مـــــن فِتنـــــةِ
لســـــت أدري مـــــا مـــــدى ... طـــــاقتي وعزمتـــــي
حِـــرتُ فـــي الـــدنيا وحـــارتْ ... .. بهـــــا أمنيتـــــي

تكتكـــــي يـــــا ســـــاعتي أبـــــــداً لا تســـــــكتي
فصـــــدى خفـــــق الحشـــــا أنَّـــــــــةُ التكتكـــــــــةِ
فـــــإذا حُـــــمَّ قضـــــائي .. وحانـــــــتْ رحلتـــــــي
لا أبـــــــالي ســـــــاعتي حـــــين تـــــدنو ســـــاعتي
لـــــكِ أن تبكـــــي غروبـــــيَ بعـــــد.. أو أن تصـــــمتي

المنايـــــــــا والمنـــــــــى فـــــي ســـــباق الســـــرعةِ
يـــــا تـــــرى أمنيتـــــي أعجَـــــلُ أم منيَّـــــتي

١٨

أنا والشعر

جبل الأربعين: أريحا ١٣٧٩ ــ ١٩٥٩

أنا والشعر

قــل لمــن تســألني أيــن أنــا! أنــا والشــعر وحيــدان هنــا
هــو فــي غربتــه يــأنس بــي وأنــا فــي لحنــه أشــكو الــدنى

كــم لثِمنــا شــفة الأفــق معــاً وصــعِدنا مــن جبــال قــُننا
وتــدرجنا مــع الــوادي إلــى عطفــات ذات زهــر وجنــى
ورمقنــا الطيــر فــي ملعبــه فننــا يســلو ويهــوى فننــا
وشــهدنا طلعــة الصــبح ســنا ومــن الليــل ســهرنا موهِنــا*
وتناشــدنا مــع الــنجم الهــوى وتباثثنــا رؤانــا والعنــا
ثــم عــدنا نتســاقى جَرَعــاً مــن أســانا وهوانــا والضــنى
وســكِرنا ســكرة علويــة تهتــكُ الغيــب وتعــدو الزمنــا
فتهنأنــا لظــى غربتنــا جلــداً مــرَّاً ومــا ذقنــا الهنــا

أنــا والشــعر وحيــدان هنــا هــو يهــواني وأهــواه أنــا
لــي وإيــاه منــى غاليــةٌ حقــق الله لنــا تلــك المنــى

١٩

غيث في آب

جبل الأربعين: أريحا ١٣٧٩ ــ ١٩٥٩

غيث في آب

ما لأفقي في الغيب يعدو قصيا ... والفضاء السحيق يطويه طيا
وكأن الغيوم ثارت غبارا ... حَجبتْه فلم يعد مرئيا
من يرى ما أرى ! أنا اليوم وحدي ... بصرٌ يرمق الجمال مليا
وجمال الأكوان سلوى ونجوى ... لِمُعنى أساه ما زال حيا
الدنى رونق زها وتهادى ... إذ سقاه الخريف راحا رويا
نَعِس السهل فارتمى وتمطى ... مُرْسِلاً في الشعاب طرفاً خفياً
وذُكاء المعطاء مالتْ عليه ... بشعاع ثَرّ وخرَّتْ جِثيا
قد حبته ألوان طيف عِذابا ... فبدا في شفوفه عبقريا
فاخضرار يمتد ما امتد طَرفٌ ... يتراءى تموجا مُخمِليا
واسمرار وشُقرة وضُروبٌ ... من ظلال تغيب شيئاً فشيئا
وشفاه الفِجاج تلعس في الغيم ... .. وكان احمرارُها «قِرمِزيا»
وكأن الأشجار وهي فرادى ... بعضُ زواره ألَمَّ وحيَّا
وجماعاتها على جانبيه ... حانياتٌ كَمَن عقدن نديا
وخيال الغيوم أدكنُ يحبو ... مثقلا مصعدا يُخال كميَّا*
والسماء الولهى تموج غَماماً ... بينه زرقةٌ تَشُدّ وتعيا

يا حياتي ما بين صبري وبثي ... ما حياتي والهم دوّى دويا
السماء الرؤوم تصغي لشكوايَ ... وترعى قلبي الشقيَّ الشجيا
أرسلت من عيونها الزرقِ دمعاً ... فكأني بها تنوح عليا
سمِعتْني أشدو غريباً كئيباً ... فحَبَتْني حنانها العلويا
ورأتني حيران أرنو وأرنو ... دون قصد بادٍ فمالتْ إليا
وجدتني أحيا وحيدا فنادتْ ... يا ابن جوي إليَّ نخلصْ نجيَّا*
فاستجابتْ سجيتي وتسامت ... في انطلاق بين الثرى والثريا
حيث مدَّتْ نحوي شعاعاً من.. ... الشمسِ فصرنا إلى السماء سويَّا

بسطتْ لي يداً وشدَّتْ بأخرى ... وإذا قوة الورى في يديَّا
وسقتني كأساً من السحر فيهِ ... الشعر والمجد والهُيام، شهيا
فكأن السنا تجلى لقلبي ... وكأنَّ الإبهام عاد جليا
وكأن البقاء حف بذاتي ... فتربَّعْتُ كائناً أزَليَّا
وكسَتْني من نشوة الحلم بُردا ... من نُثار الأفلاك حِيكَ، وشِيَّا*

ثم قالت هذي جنانُك فاسرح ... في مداها وظلها وتَفيَّا
فاحتواني جو أشاع بكنهي ... خدراً، يستثير قلبي، نديَّا
وتلبثتُ حائر الطرف حينا ... شاردا ذاهل الكيان عَيِيَّا
وإذا بالجمال من كل صوبٍ ... يتهادى حولي ويهتف هيَّا
فتَنَبَّهْتُ مطمئنا هنياً ... وكأن الجنان عاد فتيا
وتنقلتُ في المراتع طَلْقاً ... وفؤادي يفتر بالحبِّ حيا
وعقدتُ الوداد بيني وبين.. ... النور، في نبعه سخياً سنيا
وتآلفتُ والعوالم حتى ... خلتُني كُنتُ خِدنها* الأزليا
فتشاكيتُ والغيوم همومي ... وتساقيتُ والنجوم الحُمَيَّا*
ونَثَثْتُ* الهوى الذي في ضلوعي ... فرأيتُ الأفلاك تحنو عليا
وتماديتُ في الشكاة فهاج.. ... الحُزْنُ من أدمعي أبيا عصيا
وإذا بالدجى يميل ابتئاساً ... وإذا بالسديم* يرنو مليا
وإذا البدر بعد أن كان يزهو ... ناضِرَ الوجه مشرقاً عسجدِيَّا
جذب الغيم فوق عينيه.. ... والأنجم من حوله، وراحتْ بكِيَّا
والمناحات في السماوات قامت ... لِجوى شاعر على الهم يحيا
فتململتُ نادماً دون جدوى ... إن دمعي العصيَّ هاج أتِيَّا*
وتعثرتُ فارتميتُ إلى الأرضِ ... .. وماءُ السماء يجري سخيا

وتحاكى الأنام عن عاصف الجوِّ ... وغَيثٍ في آب قدْ فاض ريَّا
ما دروا عن خبيئة السر شيئاً ... إن أمر السماء كان بدِيَّا*
هو عطف الأفلاك والملإ الأعلى ... .. على مدنفٍ يعيش قصيا
هو قلبي قد ضاق بالكبتِ ذرعا ... ولكم كان في الهوى أريحيا
هي روحي ذابت وسالت غيوثا ... هي نفسي فاضت فسقياً ورعيا

كم سكبتُ الأشواق لحناً شجياً ... ودموع الحرمان عطراً شذيا
صغتُ للحب والجمال، بشعري ... وشُعوري، حباتِ قلبي حليا
ولففتُ الجوى ببسمة صبرٍ ... وكتمتُ الهوى وعِشتُ أبِيا!

٢٠

بركان

جبل الأربعين: أريحا ١٣٧٩ ــ ١٩٥٩

بركان

يــا أخــي رفقــاً وخــلِّ اللائمــهْ ... إنهــا نفــس أبــيٍّ هائمــهْ
وأمــــانٍ وهمــــوم جمــــةٌ، ... تتلظــى فــوق صــدري جاثمــهْ
لــيس مَــنْ يُرْسِــلُ قــولا صــارما ... كالــذي يحيــا حيــاة صــارمهْ
ســل ســهادا طالمــا كابدتــهُ ... والبرايــا فــي رؤاهــا نائمــهْ
ســل أنينــا فــي الــدجى أرســلته ... زفــرات مــن ذمــائي* عارمــهْ
وســلِ القــرآن مشــهود الصــدى ... وطيــوف الفجــر تبــدو حالمــهْ
عــن عيــون بالــدموع اغرورقــتْ ... فهــي فــوق الآي تبــدو غائمــهْ
وســلِ البســمة تعــدو شــفتي ... بــين صــحبي تتــراءى ناعمــهْ
كيــف كــابرتُ لكــي أرْسِلَــها ... شــماً، والــنفس ليستْ باسمه ْ
وســلِ المُــلحة أرويهــا لهــم ... كيــف أزجيهــا وروحــي واجمــهْ
وســل الأطبــاق عــن مأكلهــا ... كــم بهــا جــف ونفســي صــائمهْ
أحشــر اللقمــة فــي حلقــي قــذىً ... شــائكاً، والــنفس حــرى ضــارمه*
وأريــق الكــأس ثلجــاً فــي فمــي ... ولهــاتي مــن جفــاف كاتمــهْ*

يــا أخــي رفقــا فهــذي لمــعٌ* ... مــن حيــاتي، وحيــاتي قائمــهْ
وأنــا أحمــل عبئــي رجــلاً ... ماضــياً فــي مشــكلات قائمــهْ
بــاذلاً نفســي ومــا تملكــه ... والمــروءات عليهــا حاكمــهْ
حانيــا بــرا وكــم مــن مقــلٍ ... صــنتها، ازورَّتْ* ودارتْ ظالمــهْ
جهِــلتْ شــأني ومــا أبذلــه، ... وعســاها بعــد حــينٍ عالمــهْ

يــا أخــي رفقــاً ولا تعــذل فمــا ... أحــوج العــاني* لعــينٍ راحمــهْ
تتــروى وتــرى مُنصِــفة ... إن للعــذل عيونــاً واهمــهْ
أنــا مــن جــذوة نفســي فــي وغــى ... نفــس حــرٍ تتلــوى كاظمــهْ*
أنــا مــن غربــة روحــي فــي لظــى ... لكيــاني وحيــاتي قاضــمهْ
والأمــاني ولُــبانات الهــوى ... فــوق أشــلاء شــبابي حائمــهْ
فــي صــراع ظــالم لا ينتهــي ... وهمــومٍ ضــارياتٍ حاطمــهْ

يــا أخــي رفقــا فحســبي مــا رمــى ... الــدهر قلبــي مــن ســهام ناجمــهْ
جانِــبِ العــذل وهدهِــد ألمــي ... أنــا فــي أشــداق حــربٍ حاســمهْ
وإذا الــنفس ســمتْ أهــدافها ... ومتــون المجــد كانــتْ عاجمــهْ*

وغـــذاها القلـــب مـــن مرهفـــة تعشـق الحـزن وتجفـو الآثِمـةْ
ورماهـــا الـــدهر فـــي مـــرتهنٍ مـن ظـروف وصـروف غاشـمهْ
فهـــي البركـــان يرمـــي ذاتـــه بلظـــى النـــار، وتِلـــك القاصـــمهْ
فعســـى يفهـــم عنـــي عـــاذلي أســـأل الله نجـــاة الخاتمـــهْ

٢١

هاتف

حلب: ١٣٧٩-١٩٥٩

كتبتْ رقم هاتفه
بميل مكحلتها.. ثم كان
بينهما حديث:

هاتف

«القُـرْصُ» ودار وصـوتي فـي تهدجـه
وقـــد رأيتـــكِ رغـــم البـــون مقبلـــة
أحسســت مــن صــدرك الظمــآن وقدتــه
وحـار قـولي، وكـم فـي الـنفس مـن فكـر

كتبــتْ بــالمرْوَد الغــالي الــذي لَــثِمَت
وعـلَّ مـن راحهـا رشـفاً، وغلغـل فـي..
المـــرود المســـتمد العِطـــر أنملـــه
المـرود «النـاثر» الكحـل الـدقيق علـى
كتَـــبتِ، والثغـــر مـــزدانٌ ببســـمته،
كتبــتِ مــن هــاتفي أرقامــه فســرى

يــا أخــتَ همــي وحرمــاني ومــوهبتي
هـل أنقـض المبـدأ المكنـونَ فـي خلـدي
هــل ألبِــس العُمــر نكــراً بعــد عفتــه
أم أمسـك الـداء، قـد جالـت قواصـمه

أحيــا علــى ظمــأ والكــأس مترعــةٌ
بركــان قلبــيَ عــزَّ الصــبر يمســكه
يــا أخــتَ همــي وحرمــاني ومشــكلتي
بــين الهــدى والهــوى ذابــتْ حُشاشــتنا

يكــاد فــي الأذن يُلقــي وجــده نــارا
والصــب أنفــذ خلــق الله أنظــارا
كأنمــا جمــره فــي أضــلعي ثــارا
حـارت،وكم مـن هـوى فـي القلـب قـد
حـــــــــــــــــــــــــارا

شـفاهُه، عَيْنَـكِ الخضـراء تكـرارا
الشـفاه رأس لسـان فـي اللمـى* دارا
مـن عطـرك اللـذ حتـى صـار مِعطـارا
جفنيـكِ سـحرا وإغـراءً وأشـعارا
والقلـب يزفـر فـي الأضـلاع قيثـارا
بـين الهواتـف، خفـق القلـب تيـارا

مــاذا أبثــكِ؟ أجَّ القلــب أســرارا
فـي الـروح والعقـل إيمانـا وإكبـارا!
وأعْقِـبُ الصـبر آثامـاً وأوزارا!
حمّـى بجسـميَ، أوصـالا وأغـوارا؟!

تـدعو فمـي، ودمـي المكبـوت قـد فـارا
يكـاد يقـذف بـي فـي الكـون إعصـارا*
أشـكو إليـك، كمـا تشـكين، أقـدارا
قتلاهمـا نحـن، ممـن نطلـبُ الثـارا؟!

٢٢

أم أحمد

حلب: ١٣٧٩-١٩٥٩

رحمها الله، طباختنا.. توفيت في بيتها فجأة، فلم يحزن أولادها! ومضى أحدهم بما أعطينا من مال لموارثها، فقامر به، تاركاً جسدها في الأرض، هملاً مُسجى! وكانت زوجته تريد المال لنفسها، تشتري به زينة وثيابا!!

أم أحمد

لـم تجـئ فـي الصـباح كالمعتـادِ ... بـل أتـى نعيهـا بغيـر اعتـدادِ
فابنهـا قـال: إن أمـي ماتـت، ... قالهـا دون دمعـة وافتقـادِ!
أطلقـت روحهـا بُعَيْـدَ انتصـاف ... الليـل مـن غيـر ضـجةٍ أو عنـادِ
شـعرتْ فجـأة بضـيق ملِـمٍ ... ثـم صـارت فـي لمحـة للنفـادِ
وابنهـا قـد أراد، إذ جـاء، غنمـاً ... وابتـزازا، أحْـقِـرْ بـه مـن مـرادِ

أخـذ المـال كـي يـواري أمـاً ... مـا جنـت منـه غيـر شـوك القتـادِ*
ومضـى بالـذي أصـاب قريـراً! ... يـا ضـياع الجهـود فـي الأولادِ
ويلـه سـار تاركـا جسـد الأم ... مُسـجى* مـن بؤسـه بسـوادِ
وأتـت زوجـه تسـب وتشـكوه ... .. وتبكـي مـن حـدة واشـتدادِ
هـي تخشـى أن يُنفِـق المـال طـرا ... دونهـا، يـا لخسـة الأوغـادِ
يـا لـتعس الـدنيا إذا كانـت.. ... الـدنيا مجـالَ الأطمـاع والأحقـادِ

كـان ميعادهـا الصـباح لتغشـى ... دارنـا «أم أحمـد» باتئـادِ
غَيَّـرَ المـوت دربهـا، ودعاهـا ... فاسـتجابتْ، صـوتٌ مـن الآبـادِ
حملـتْ عبأهـا ثمـانين عامـا ... فـي عنـاء وشـدة واجتهـادِ
وأراح الفنـاءُ ثَـمَّ كيانـا ... لـم يكـن يسـتريح بـين العبـادِ

كـم طهـت «أم أحمـدٍ» مـن طعـام ... وأعـددتْ مـآدبَ الأعيـادِ
فتنـادى إلـى الطعـام صـغارٌ ... وكِبـارٌ، فـي بهجـة واحتشـادِ
وأخيـرا، صـارتْ طعامـا رخيصـا ... مسـتباحا، فـي مجمـع الأضـدادِ*
تتلاقـى فـي نهشـها الحشـراتُ.. ... السـودُ والـدود، دون أي تنـادِ
والطعـام الـذي طهتـه شـهيا ... بعضـه مـا يـزال فـي «البـرادِ»!

جاهـدتْ «أم أحمـدٍ» فـي بنيهـا ... ثـم عُقـَّتْ، وذاك أقسـى جهـادِ
رحـم الله «أم أحمـد» وجزاهـا ... كـلَّ خيـر، عـن سـعيها والجـِلادِ

٢٣
قلقهْ
حلب: ١٣٧٩-١٩٥٩

لم ترتوِ، وقد تقدم بها الشباب، موهوبة، فائرة النفس...
لم ترتو، وقد ربط القدر مصيرها بحياة بعيدة عن أذواقها وآفاقها...
لم ترتو، وتخشى ألا ترويَ أبداً، فهي دائماً «قلقة»...

إنســـــانة مهذبـــــه ْ آمالهـــــا معذبـــــه
ســـــافرة محجبـــــه ْ نـــــافرة محببـــــهْ

تـــــنفس مكـــــدودُ ونظـــــر شَـــــرودُ
وعـــــالمٌ ممـــــدود تخنـُـــقه لحـــــودُ

كـــان بهـــا مـــن الأزلْ تشـــوُّق إلـــى قـُـــبلْ
وصـــبوة إلـــى غـــزلِ إلـــى هـــوىً، ولـــم تـــزلْ

شـــفاهها البســـامهْ ســـكرى بـــلا مدامـــهْ
عـــن ســـرها نمامـــه رعشـــتها علامـــهْ

ناضـــجة العمـــرِ نـَصَـــفْ جميلـــة تـــربُ* تـــرفْ
تحيـــا علـــى حلـــم ســـرف يفزعـــه طيـــفُ شـــرفْ

وشـــعرها الممـــوجُ لحســـنها متـــوجُ
وخـــدها المضـــرجُ مـــن قلبهـــا يُـــؤججُ

قلـــبٌ يـــذوب ظمـــأَ إلـــى الســـراب التجـــأ
جـــرحٌ غفـــا وانتكـــأَ* مـــن الجـــوى قـــد نشـــأَ

عفيفـــة منهومـــهْ غنيـــة محرومـــهْ
ظالمـــة مظلومـــهْ مجهولـــة معلومـــهْ

فـــي نفســـها شـــيطانُ يزجـــره إيمـــانُ
فـــي غورهـــا بركـــانُ ضـــاق بـــه الجثمـــانُ

تـــذوب فـــي صـــباها تعـــيش فـــي رؤاهـــا
أرهقهـــا هـــداها أججهـــا هواهـــا

تَـــــــحَرُقٌ مكبـــــــوتُ
وقـــــــدَرٌ عنـــــــوتُ*

يهتكـــــــه الســـــــكوتُ
وعمُـــــــرٌ يفـــــــوتُ

تـــــأوي إلـــــى أغلالهـــــا
والخـــــوفُ مـــــن آمالهـــــا

والنـــــار فـــــي أوصـــــالها
يهـــــيج مـــــن أوجالهـــــا

جريئـــــــة محـــــــاذرهْ
عزوفـــــــة* مثـــــــابرهْ

وديعـــــــة مكـــــــابره
ثـــــــائرة مصـــــــابره

بعيـــــــدة قريبـــــــهْ
بســـــــمتها كئيبـــــــهْ

أبيـــــــة مجيبـــــــهْ
وروحهـــــــا غريبـــــــهْ

غريـــــــزة مراهقـــــــهْ
بصـــــــلة مفارقـــــــهْ

تعبـــــثُ غيـــــر حاذقـــــهْ
وعشـــــــرة منافقـــــــهْ

طيـــــر وهـــــر فـــــي قفـــــص
ويـــلاه كـــم ضـــاعت فـــرص!

وقـــــانص ومـــــا قـــــنصْ
يـــا غصـــة فـــوق الغصـــصْ

غروبهـــــا فـــــي فجرهـــــا
كـــم ضـــرعتْ* فـــي أســـرها

ســـــادرة فـــــي أمرهـــــا
تشـــكو مريـــر* عمرهـــــا

عمـــــر أضـــــاع المغـــــزى
وشـــــــبقٌ تنـــــــزى

ومطلـــــبٌ قـــــد عـــــزا
حمـــــى تهـــــز هـــــزا

يـــــا مـــــن وعـــــى شِـــــكايتي
مـــــا لـــــي ومـــــا لغـــــايتي

وبَزَّنِـــــــي* هنـــــــاءتي
بعـــــد انطـــــواء آيتـــــي

مبـــــــاهجُ الشـــــــبابِ
وهيكـــــــلُ التصـــــــابي

تمضـــــي بـــــلا إيـــــابِ
قـُــــدَّ* مـــــن العـــــذابِ

يـــــا مقـــــلاً معذبـــــهْ
يـــــا كائنـــــات متعبـــــه

يـــــا قيمـــــاً مســـــيبهْ
تشـــــرقُ فيهـــــا موهبـــــه

عـــــاني كمـــــا أعـــــاني
تجـــــرُّعُ الأشـــــجانِ

مـــــن عنـــــتِ الزمـــــانِ
ضـــــريبة ُ الفنـــــانِ

٢٤

غفوة صاحية

جبل الأربعين: اريحا ١٣٧٩- ١٩٥٩

غفوة صاحية

سأسمو على زيف هذي الحياة ... إلى معرجِ العزلة النائيهْ
وأهجر ضوضاء لا تنتهي ... تُثيرُ وتحرقُ أعصابيَهْ
إلى مبهمات الظلام العميق ... إلى حيرة الليلة الساجيه
إلى منبع الصفو خلف السماء ... إلى مرتع الأمن والعافيهْ
أزيد فتوري، وأطفي لظى ... شعوري، وأكبتُ أشعاريهْ
أبلدُ حسي، أجمد نفسي ... أغيضُ*، وأكتم أنفاسيهْ
وأغدو سكوناً بعيد المدى ... يُشِيع طمأنينة راضيهْ
ويُضفي على الكون معنى الحياة ... وئاماً، ومرحمة ناميهْ
وإذ ذاك، بعد الهدى والهدوء ... وغَوْصِي على «لانهاياتيهْ»
سأرجع كالفجر، بعد الفَنَاء.. ... المولّد، والغفوة الصاحيهْ
سأرجع خَلقاً فتياً سوياً ... وقد «هَنْدَسَتْ*» عزلتي ذاتيهْ
نَضَتْ* عن كياني غبارَ الزُيوفِ ... وجَلَّتْ حقيقتي العاريهْ
وألَّقتِ الجوهرَ المُسْتَكِنَّ* ... بكنهي، يُضَوِّئُ أغواريهْ
ويُطلِقني قدرةً في الوجودِ ... تؤدي رسالة إيمانيه
رسالةَ جمعِ الكيانِ الشَّتيتِ* ... رسالة بعثِ المنى الغاليهْ
رسالةَ مجدٍ إلى الله يرقى ... تُحَققه أمة هاديهْ
جهادٌ على الدهر يُملي الخلود ... ويَصْمُدُ في الزعزع العاتيهْ
وللحُرِّ في روحه نفحةٌ ... من الله، من روحه الباقيهْ

٢٥
مع النجوم
حلب: ١٣٨٠ ــ ١٩٦٠

مع النجوم

كيف طواكِ الصبحُ يا أنجمي ... وأنتِ لي أعطية خالدهْ
تُؤنسُ في غور الدجى وحدتي ... تسهر قربي والدنى راقدهْ
كم ليلة مرَّتْ بنا أشتكي ... همومَ عُمْرٍ في دمي راعدهْ
وأنتِ تصغينَ إلى أنَّتي ... وأنَّتي من كبدي واقدهْ
تجري شكاة القلبِ ما بيننا ... عبر الدجى صادرة وارده
منكِ شعاعٌ حائرٌ هابطٌ ... ومن ضلوعي زفرة صاعده

يا أنجمي لاحَ نهار العنا ... تُرْهِقني لأواؤه* الفاسده
تشلّ ذاتي فيهِ عن سعيها ... مُلابساتٌ كالقذى جامدهْ
وتهدُرُ العمر وتُؤذي العلى ... توافهٌ ذاهبةٌ عائدهْ
بين سوام الرأي بُلْهِ المنى ... يذوي شبابي كالحُلى الكاسدهْ
كأنني لم تَتَّقِدْ أضلعي ... بالجذوة الهادية الراشده
لو أسعدَ الجَدّ سنا برقِها ... لكانَ بعثاً للدنى الخامدهْ

يا أنجُماً ألَّق فيها الذي ... أبدَعَهَا الحكمةَ والفائدهْ
زانَ بها دارة أفلاكه ... وشدَّ للكونِ بها ساعدهْ
أودعَهَا من سره نفحةً ... وصاغها معجِزةً آبده
تَصْدُرُ في مُرْسَلِ أبراجها ... على مدى الآفاقِ عن قاعدهْ
خطىً لها في سيرها خِطَّةٌ ... على هدى مَن خَطَّها شاهده
ومنطِقُ الأكوانِ في وعيهِ ... يَشْدَهُ* من إعجازه راصدهْ*

يا أنجمي يا درراً في الذرى ... فوق سماوات العلى ناهده*
جُرثومة* المجدِ التي عشَّشَتْ ... وفرَّخَتْ في الأعين الساهدهْ
أنوارك الغرّ لأجفانها ... طبٌ يداوي العلة الصامده
أشِعَّةٌ تُهدِئُ رُونَ* الجوى، ... ملائكٌ راكعة ساجدهْ
يا أنجمي سركِ يهدي إلى ... الشارد في درب الهوى، رائده
وأنْتِ للروح الذي هَدَّهُ ... طواه*، من بارئه، مائدهْ

٢٦

مارد

جبل الأربعين: أريحا ١٣٨٠ ــ ١٩٦٠

مارد

يـــا غـــدي هـــل مـــن جديـــد ... لـــيس فـــي يـــومي وأمســـي
كـــل فجـــر مشـــرق، يـــودي ... .. بـــه مغـــرب شـــمسِ
والليـــــالي تتـــــواری ... والـــدنى لـــبسٌ بلـــبسِ*
عمـــرٌ أيامـــه تنحـــتّ* ... .. مـــن همـــي وبؤســـي
كرمـــادٍ يغـــبشُ الجـــذوة ... .. مـــن عزمـــي وبأســـي
كـــل يـــوم ضـــربةٌ مـــن ... مِعْـــوَلٍ، تحفِـــرُ رمســـي!

المنـــى ترقـــبُ ســـعيي ... وأنـــا فـــي غـــور حـــبسِ
لهـــف نفســـي ذهبـــت.. ... فحـوايَ* هـدراً لهـف نفسـي
لـــيس يأســـاً بـــل هـــو.. ... الهـــم الـــذي يهـــزمُ نفســـي
فـــي دمـــائي كبريـــاءٌ ... نغَّـصتْ فـي العـيش أنْـسي
وهـــوىً يصـــبحُ فـــي المجـــد ... .. وفـــي الرونـــق يمســـي
وإبـــاءٌ مرهِـــقٌ نزَّهنـــي ... .. عـــن كـــل رجـــسِ
إنهـــا أغـــلالُ نفســـي ... وســـجاياَيَ وحِســـي
شِـــيَمٌ كالمـــاردِ الجبـــارِ ... .. فـــي قمقـــم رأســـي
ربـــط الله علـــى روحـــي* ... ..فأجَّـــتْ دونَ نـــبسِ
ولقـــد أبْـــرَم فـــي أســـري ... .. فيســـتعلنُ همســـي
يبـــرمُ البـــدرُ إذا ساقَـتْـــهُ ... .. أقـــدارٌ لِوَكـــسِ*
بيـــدَ أنـــي دائـــبٌ كالـــدهرِ ... فـــي ســـعد ونحـــسِ
غمـــراتُ البـــؤسِ أرضـــى ... لـــي مـــن نعمـــة نِكْـــسِ*
والـــردى أشـــهى إلـــى نفســـي ... مـــن العـــيش الأخـــسِ
وســـلاف الحـــب راحـــي ... وشـــغاف القلـــب كأســـي
والســـماوات مَراحـــي ... ولقـــاء الله عرســـي

٢٧

لم ترتو

جبل الأربعين: أريحا ١٣٨٠ – ١٩٦٠

لم ترتو

حـــدثوني أنهـــا قـــد صـــبأت ... وجـرتْ فـي إثـر شـيطان غـوِ
زجَرتْـــها نخـــوةٌ موروثـــةٌ ... أمـــداً ، لكنهـــا لـــم تَـــرْعَوِ
شـــبق*المرأةِ فـــي أغوارهـــا ... فـي لظـى الإغـواء أنـى ينطـوي
جـــذبتها سَـــورةٌ عارمـــة ... واحتوتهـا الـريح فـيمن تحتـوي
فاســـتكانت واستســـاغت مـــنهلاً ... أنِفَـــتْ منـــه وكانـــت تجتـــوي*
الهـدى لـم تـرو مـن أشـواقها ... وهـي فـي صـبوتها لـم ترتـوِ
قـد كواهـا الظمـأ السـامي كمـا ... بخسـيس الـرِّيِّ أمسـتْ تكتـوي
فهـي فـي لهفـة روحٍ ومنـىً ... تتلـوى فـي طريـق ملتـوِ
أنِفَـــت مـــن نفســـها واســـتنفرتْ ... وعلـى اللوعـة راحـت تنـزوي

حدَّثُـــوني، ورووا أخبارهـــا ... وأنـــا مســـتيقنٌ مـــا قـــد رُوي
غيـر أنـي قلـتُ: قـد أرجفتُـمُ* ... إنهـا لـن تتـركَ الـنهج السـوي

٢٨

ولدي

جبل الأربعين: أريحا ١٣٦٠-١٩٦٠

ولدي

ولـــــدي؛ وآمـــــالي بكـــــم ... تحبـــوكم أســـمى نُعـــوتْ
لا تجعلوهـــــا واهيـــــات ... مثـــل بيـــت العنكبـــوتْ
شـــردتْ بكـــم، نـــزوات.. ... أنفســكم، وأمزجـــة شـــتوتْ*
ورميـــتم حبـــاتِ قلبـــي ... فـــي رحـــى نـــزقٍ عنـــوت*
فـــالعمر مـــن لأواءِ*.. ... حُبِّيكُـــمْ، وجـــوركم يفـــوتْ
تحيـــون بـــي، وأنـــا بكـــم ... فـــي كـــل شـــاردة* أمـــوت!

ولـــدي؛ فثوبـــوا، واســـتبينوا.. ... الرشـــدَ، والتزمـــوا القنـــوتْ*
أرضـــى فـــأدعو جـــأرةً ... لكـــم، وموجـــدتي صَـــموتْ
وأنـــا علـــى الحـــالين أدعـــو ... فـــي الكـــلام وفـــي الســـكوتْ

٢٩

هوى

أريحا: ١٣٨٠ ــ ١٩٦٠

هوى

يـــا شـــجيَّ القلـــب غـــنِّ ... نـَغـَـمَ الوَجـدِ المُـرنِّ*
غـــنّ آلامـــي بشـــعري ... حَـدِّثِ العُشـاقَ عنـي:
أنـــا فـــي غـــور الليـــالي ... ظمـــأ القلـــبِ المُعنـــي
أنـــا فـــي الآفـــاق جَفـــن ... يشـــتهي ضـــمَّة جَفـــنِ
الســـنا مشـــرقُ روحـــي ... والهـوى إكسـيرُ* فنـي
والهـــوى، ســـر انبعـــاثِ.. ... الخلـقِ من إنسٍ وجنِّ
وأنـــا فـــي عزلـــةِ.. ... القلـبِ، كجمـرٍ مستكِنِّ
فـــالهوى فـــي لحنـــيَ.. ... المجـروح يبكـي ويغنـي
يتشـاجى* بصـداه الحـور ... .. فـــي جنـــاتِ عـــدن

واهِ هـــل يبقـــى شـــبابي ... خمـــرةً مـــن غيـــر دنِّ
تائهـــا فـــي فجـــوات*.. ... العمـر، مهـدور التمنـي
كلمـــا آنســـتُ طيفـــاً ... زاهيـــاً عـــذبَ التثنـــي
أشـــرقتْ فـــي أملـــي ... بسـمة عـيشٍ مطمـئنِّ
واشـرأب القلـب كالطفـلِ ... .. اشتهى ضمة حِضنِ
وترامـــى باســـط الكفـــينِ ... .. فـــي شـــوقٍ وأمـــنِ
فتـَلـَقـَّـتْـــه يـــدا عَسْـــفٍ ... .. بنبـــــذٍ وتجـــــنِّ

لهـف نفسـي مـا لأقـداريَ ... .. لا تـُـــسعِفُ ظنـــي
أيـــن مـــن ألحانـــه فـــي ... الحـبِّ تنسـابُ ولحنـي
ويُسـاقيني سـلاف الـروح ... .. صـــفواً دونَ مَـــنِّ
شـــافياً مـــن ذوقـــه ... غـُلـَّة آهـاتي وأنِّـي
الصـحارى معـه أنضـر ... .. مـــن روض أغـَـــنِّ
والطـــوى فـــي قربـــه ... أمْتـَـعُ من سلوى ومَـنِّ
فـي الهـوى أحيـا وأحييـه ... .. ويَفـْـنيني وأفنـــي

يـا ابنـة الـدهر، ألا كـوني ... .. مِـنَ الـدهر مِجَنِّـي
وهَبـــِي قلبـــيَ قلبـــاً ... فـي الهـوى يَفـْـهمُ عنـي
ســـاعة أحيـــا بهـــا.. ... ثـمَّ خـذي عُمـري مِنـي

٣٠
في البكور
جبل الأربعين: أريحا ١٣٨٠-١٩٦٠

في البكور

قـــم حـــيِّ إبـــداعَ الإلـــه .. وقـــد تجلـــى فـــي البُكـــورْ
وكـــأن مـــا فـــي الليـــل مـــن نجـــم وصـــهباءٍ وحـــورْ
وهـــوىً تزينـــه الزهـــور وتنتشـــي فيـــه العطـــورْ
صُهِـــرتْ ببوتقـــة الســـماء وبُرِّئـــتْ مـــن كـــل زورْ
فتنفســـتْ أرواحهـــا عـــن نفحـــةٍ فيهـــا النشـــورْ
وافتـــر ثغـــر الصـــبح جـــذلان .. المنـــى، جَـــمَّ الســـرور
فمضـــى يـــذر علـــى الربـــى مـــن ذوبـــِها أمشـــاجَ* نـــورْ
الـــبعض ســـال علـــى الـــذرى والـــبعض مؤتلـــقٌ يســـورْ
وشـــعاعه الوثـــاب يجتـــاز .. الفضـــاء إلـــى القصـــورْ
ومـــن النوافـــذ يرســـل النظـــرات .. فـــي ثُـــغـــر الســـتورْ
وتحثـــه نـــزوات جرأتـــه .. فيقـــتحم الخـُـــدورْ
ويكـــون ثـــَمَّ تعـــانقٌ بـــين الأشـــعة والبـــدور
فمـــن الأشـــعة مـــا يلـــوبُ* .. صـــبابة فـــوق الثغـــورْ
ومـــن الأشـــعة مـــا يظـــل .. يَشـــمُّ مـــن أرْجِ النحـــور
ومـــن الأشـــعة مـــا يطِـــل .. علـــى النهـــود مـــن الصـــدور
ومـــن الأشـــعة مـــا يـــذوب .. تولهـــا عبـــر الخُصـــور
ومـــن الأشـــعة مـــا يدغـــدغ .. دفـــؤه دفءَ الحجـــور
ومـــن الأشـــعة مـــا يثيـــرُ وفـــي الطبـــائع مـــا يثـــور
ومـــن الأشـــعة مـــا يـــدور مـــع المنـــى أنـــى تـــدور

ســـبحان مـــن مـــنح البكـــور .. مفـــاتن الســـحر الطهـــور
وحبـــا أشـــعتها قـــوىً تهـــبُ المضـــاء ولا تحـــورْ*
وأدار مـــا بـــين الـــدجى والفجـــر دولاب الـــدهور
يجـــري علـــى حـــدو الحيـــاة .. وشـــدوِ أســـراب الطيـــور
ســـبحان مـــن أمضـــى علـــى إيقاعـــه خطـــو العصـــورْ

٣١

شبح الخريف

جبل الأربعين: أريحا ١٣٨٠-١٩٦٠

شبح الخريف

تلامح الخريف...

لغيومه في الآفاق تشكلات رائعة الجمال...

على الأشجار حمرة مصفرة، ودفء يثير في النفوس شعوراً مبهماً، كأنه حزن الوداع...

كانت حقول القطن، في السهل المنساب بعيداً من «جبل الأربعين» تتفتح عن ثمرها الناصع، كأنه نجوم تتلألأ، في ليلة ساجية... لقد كان يلمع في البون البنفسجي، تحت أشعة الشمس المسددة إليه من فجوات الغيوم...

وكنا نستعد للرحيل إلى «حلب» حيث تنتظرنا شؤون الحياة وشجونها...

شبح الخريف

شبح الخريف أطل عن كثب ... والشمس لاحتْ من كوى السحبِ
حيرى وقد فترتْ حرارتُها ... ترنو إلى بحر الدنى اللَّجِبِ
وعلى أشعتها التي عبرتْ ... ثُغَرَ* الغيوم، أمائرُ التعبِ
مدَّتْ لها الأشجار أيديها ... فترنحتْ كالمُدْنَفِ الطَّرِبِ
وعلى الغصون رمت غلائلها ... وعقيقها المُخَضَّلِ بالذهبِ
والسهل مغرور المُنى طمِحَتْ ... أحلامه الظمأى إلى الشهبِ
للقطنِ ألْقٌ في مزارعه ... فكأنما يفتر عن حببِ*
والمُخْمَلُ المنقوش، قد نُشِرَتْ ... طياتُهُ، عرضاً بلا طلبِ
وتبوَّأت أنحاء ساحته ... وتمددتْ فيها على رُتَبِ
ألوانه شتى، وأخضرُها ... في زهوه، متفاوتُ النِّسبِ
سهل من الفردوس مُختلسٌ ... تحنو عليه مدارجُ الرَّتَبِ*
كِسَفُ* الغمام علتْ مسارحه ... تحبو مُشَعَّثَةً* على الرُكبِ
وظلالها الغبراء راسمةٌ ... بقعاً على أثوابه القُشُبِ
قد لاح منها وجه بسطته ... ما بينَ مبتسِمٍ ومكتئبِ
وذكاء في كبد الغيوم لها ... مد وجزرٌ دونما صخبِ
وعلى السماء مصوراتُ دنىً ... سحرية مجهولةِ النسبِ
وعوالمٌ كالحلم شاردة ... أخبارها لم تُرْوَ في الكتبِ
سفنٌ وراء البونِ* مُشرعةٌ ... وعجائزٌ عكفتْ على حدبِ*
ووحوش غابٍ ثار ثائرها ... فتواثبتْ في وقدة الغضبِ
وولائدٌ في الجو قد سرحتْ ... وتضاربت في سَورة اللعبِ

والشمس ترسلُ من أشعتها ... شَعراً لها قد صيغ من قصبِ
صُوَرٌ منورة الجمال زهتْ ... ما بين منطَلقٍ ومنقَلبِ
سُحُبٌ يراكضها وينفخها ... عبث الرياح لغير ما سببِ
فتظل تفتلُ* في مُداورة ... حِيناً وتهرب دونما رَهَبِ
بتعثراتٍ* لا انتهاء لها ... تُعْيي يراعَ مُصَوِّرٍ دَربِ

والأفق حيران المدى ثملتْ ... في ناظريه مشاهد الحُقبِ
وتمطتْ الآمال غافيةً ... في ساعديه على رؤى النَشَبِ
وكأنما أعتابه افترشتْ ... قُنن الجبال ورغوة السحبِ

أما أنا فلزمتُ زاويتي ... من غير ما رغبٍ ولا رهبِ
مُتناسياً يأس الهوى ولظى ... همي، ومشكلتي تطوِّفُ بي
في هدأةٍ، والكون منبسطُ ... حولي، يُلَطِّفُ دِفْؤه نصبي
وعلى المدى النائي منازلُ قد ... لاحتْ كأكداسٍ من العلبِ
وتصاغرتْ في العينِ إذ بعُدتْ ... فبدتْ كأشتاتٍ من اللُعَبِ
وأخذتُ، والأهدابُ مرسلةٌ، ... أرنو إلى الأغصان والشذبِ*
والريح تدفعها وتجذبها ... فعلَ الغلامِ الناقمِ الشَّغِبِ
فيطير من أوراقها نثرٌ* ... ويدور فوق التُربِ في لغبِ
وأمد طرْفي دونما هدفٍ ... حيناً إلى الأوداء* والكثبِ*
تزهو معالمها وتغمض في ... وهمي، ولم تظهر ولم تَغِبِ
وكأنما ألوانها اختلجتْ ... في العين من صهبٍ إلى شهبِ
والكرمة السمراء ترجف من ... نقر الهَزارِ بقية العنبِ
والعصف حفَّ لحية نسلتْ* ... كالسهم فزعى دونما حَرَبِ*
والهرة الشقراء تنطحني ... وتمد أيديها على رُكبِ
كسلى تشم أناملي ملقاً ... وتموء في رفقٍ وفي أدبِ
وتعضها هونا وتلعقها ... ولسانها كالمخملِ الزغِبِ
وتعوق خطوي في تدللها ... وتسير إما سرتُ في طلبي
فإذا جلستُ جثتْ على قدمي ... والرأس معكوف على الذنبِ

وسكنتُ والأفكار هائمة ... وغفوتُ عن ظمئي وعن سغبي*
وكأن في عيني أخيلة ... سكرى الظلال لمعهدٍ خربِ
والنفس شاردة الهوى ذهلت ... عن ذاتها في حلم مُغْتَرِبِ
يبني على الآمال نشوَتَه ... وكأنها خلوٌ من الوصبِ*
تحيا دقائق وهي مغفلةٌ ... أعباءها كمُجَنَّحٍ عَزَبِ
ودُهِشتُ من نفسي وهدأتِها ... ووَدِدْتُ لو جُمِّدتُ في أهبي*
الدهر عودني على صخب ... فإذا تهدَّأ كان من عَجَبِ
خلس كومض البرق خاطفة ... ونؤوبُ للضوضاء والسخبِ*

يـــا ســـاعة عبـــرت بـــلا نكـــد ... مهـلاً، ومـا للرحْـلِ والقَـتَـبِ
مـــاذا تعجُلـــُنا إلـــى «حلـــب» ... ومنصـغات العـيش فـي «حلـب»
كـم رمـتُ منهـا لـو رجعـتُ سـدىً ... أو أننـي فـي «الأربعـين» صَبـي
أو أننـــي فـــي المجـــد مـــا علقـــتْ ... نفســـي وفـــي الإقـــدام والغَلَـــبِ
أو أن قلبـــــي، والهـــــوى دمـــــه ... لـــم يَكـــْوه الحرمـــانُ باللهـــبِ
أو أننـــــي لا عـــــبء يرهقنـــــي ... أحيـــا خـــدينَ الفـــن والأدبِ
لكنهـــا الأقـــدار قـــد قـــذفتْ ... بـــي فـــي دنـــى حمالـــة الحطـــبِ
فمضـــيتُ فـــي دربـــي علـــى جَـــلدٍ ... وحملـــتُ عبئـــي حمـــلَ ذي دأبِ
وأنـــا أبٌ فـــي أضـــلعي مُـــزَعٌ* ... تسـع مـن الأطفـال تهتـف بـي
هـــل فـــي حنـــانِ النـــاس منزلـــةٌ ... أهـدى وأرفـعُ مـن حنـانِ أبِ
وإذا الإبـــاء مضـــى بـــذي شـــممٍ ... لـم يخـشَ حمـلَ الهـمِّ والتعـبِ
ومُـــــرُوءة الإنســـــان تقحمـــــه ... فـي الهـول والـلأواء* والكـُرَبِ
والحُـــــر لا يجفـــــو مروءَتَـــــه ... ومـروءة الأحـرار فـي نسـبي

شـبح الخريـف أطـل مـن كثـبٍ ... هـل فـي الخريـف طلائـع العطـبِ
أم إنـــه ســـيطل بعـــد غـــدٍ ... ألْـقُ الربيـع كصـفقة الطـربِ
وَدَّعْـــتُ أيـــام الشـــباب وقـــد ... ولـتْ، بـدمع غيـر منسـكبِ
وكهـولتي تمضـي علـى أمـلٍ ؛ ... فـي الغيـبِ أحـداث لمُرْتَـقَـبِ!
لـم تجـنِ عمـري بهجـةً وهـوىً ... والله أعلـمُ كيـف منقلـبِ
لـــو أن دهـــري مُسْـــعِفٌ لبنـــى ... ركنـي لديـه علـى ذرى الشـهبِ
الهـولُ فـي دربـي وفـي هـدفي ... وأظـل أمضـي غيـر مضـطربِ
مـا كنـتُ مـن نفسـي علـى خَـوَرٍ ... أو كنـتُ مـن ربـي علـى ريَـبِ
مـــا فـــي المنايـــا مـــا أحـــاذرُهُ ... الله مـــــلء القصـــــد والأربِ

٣٢

ضمير

حلب: ١٣٨٠-١٩٦١

ضمير

يـا ضـميري كـم ذا تـُنَغـّص أنسـي ... عمــرَكَ اللهُ، لــو رأفــتَ بنفســي
فحيــاتي العنــوت* عــبءٌ رزاحٌ* ... وهمــومي رحــىً تــدورُ برأســي
والمــــروءات حــــافزٌ مســــتبدٌ ... وليــالي الخــواء* تــوهنُ بأســي
فــإذا مــا لمحــتُ بــارقَ لهــوٍ ... فــي حواشـي الحيـاة يـزحمُ بؤسـي
واشــرأبَّ الصــبا المكبــل بالأعبــاء ... .. يرنــو إلــى علالــة* كــأسِ
وســرت فــي اللهــاةِ نشــوةُ ري ... مُتَمَنـّى لمّـا تـزل رهـن حـبسِ
دبَّ منــك التأنيــبُ فِــيَّ دبيبــا ... يـا ضـميري، ورُحـتَ تجتـزّ ُ أنسـي

يــا ضــميري غــدا كيــاني رُكامــاً ... من جراحي، في كل يوم وأمسِ
كـل يـوم يمضـي مـن العمـر يهـوي ... كشـهيدٍ فـي حـرب أقـدسِ قـدسِ
فــي جهــادي، لفتيتــي وبــلادي ... ومُــرادي، وفــي جهــاديَ نفســي
ومــرادي! تحــارُ فيــه الأمــاني ... والمعــاني بــين اتضــاحٍ ولــبسِ
تتهــادى رؤاه يقظــى ووســنى ... بـين عـزم مـاضٍ، وريـث، ويـأس

يــا ضــميري، هــلا حللــتَ وَثــاقي؟ ... كــاد هــذا الوثــاق يخمــد حســي!
التقـى؛ مـا التقـى وفـي الجسـمِ نـارٌ ... تمضـغ القلـبَ بـين نـاب وضـرس!
كلمــا حامــتْ الخِلابــة* حــولي ... هَمَّ سـهمي، وارتـجَّ للنَـزعِ* قوسـي
ويــروح الإغــواء عنــي ويغــدو ... وأنــا مُصــبح التطلــع ممــسِ
يـرقص النهـد فـي عيـوني، وتغلـي ... في شفاهي الظمأى ارتعاشة لعسِ
ودمــاء الشــباب بركــان تَــوقٍ ... فجَّرتــه فــي الجسـم نـزوة جـنسِ
الجنــى مشــرفٌ علــيَّ شــهيٌ ... حســبه للقطــاف أرهــفُ جَــسِّ
كــم دعــاني إليــهِ شــوقٌ مُلِــحٌ ... يهمـسُ الوصـلُ فيـه أعـذب همـس
ودعــاه إلــيّ حُسْــنٌ مطيــعٌ ... ونـزوع فـي الطبـع، من غير نبسِ
بيــدَ أن الضــمير ثــَمَّ رقيــبٌ ... كلمــا رُمْــتُ لمســةً شَــلَّ لمسـي
كـم هـوتْ زهـرةُ الهـوى وترامـتْ ... عنــد أحكامــه بضــربة فــأسِ

يـا ضـميري؛ أقصـر، فمـا هَمَّ عزمـي ... بِتَــرَدٍّ ، أوهـام قصـدي بـرجس
فــي نجــاري* علــى الخنــا* كبريــاءٌ ... وجــِماحٌ* علــى الســلوك الأخــس
غيــر أنــي إذا تصــدعَ صــبري ... ودجـى الهـم فـي صـحائف طرسـي
واعترانــي مــن الشــجون كــلالٌ ... فضــوى مِشــعلي، وأبهــم حدســي
وتعالــتْ للبشــر حــولي لُحــونٌ ... فكــأن الحيــاة مجمــع عــرسِ

ربمـــا ضِـــقتُ بالتوحـــدِ ذرعـــاً وتمنـــتْ مبـــاهجَ الأنـــس نفســـي

يـا ضـميري لقـد حكمـتَ فأسـجحْ* يـا لبـؤس الحيـاة فـي شـدق رمـسِ
عبـــث الحُـــرِّ لا يكـــونُ ذريَّـــاً لمـــمٌ* لا يصـــيبُ عزمـــاً ببـــأسِ
هـــل علـــى النيِّـــر المُجلـــي جُنـــاحٌ إن خبـــا فتـــرةً بعـــارض وَكـــسِ
عمـــري فـــي الهـــوى ســـويعة أنْـــسٍ فـــي الغـد المشـرئِبِّ تغـربُ شمسـي

أتأســـى حينـــاً، وأجمـــح حينـــاً لـيس يشـفي الأوامَ* هـالُ* التأسـي
فـــي فـــؤادي للصـــبر غـــرسٌ جَنِـــيٌّ يـــا إلهـــي، فاكـــلأ جنـــايَ وغرســـي
وحيـــــاتي هواتـــــفٌ وجُـــــروسٌ* وهُتـــافُ الضـــمير أنبـــل جـــرْسِ*

٣٣

حرم الحب

حلب: ١٣٨٠-١٩٦١

حرم الحب

لـي حبيـبٌ لـم يغـبْ عـن خَلـَدي ... وهـوى نفسـي ولا طرفـة عـينْ
لـَزمَتْ صـورته منطـَلـَـقَ البصـر ... .. الخـافقِ بـين النظـرتينْ
كـل شـيء شـمِلتهُ نظرتـي ... ضـمَّ مـن طيـفِ حبيبـي صـورتين
هـو مـن قبـلُ ومـن بعـدُ لـه ... صـورةٌ ماثلـة فـي الجـانبينْ
فأنـا أبصـرُ قصـدي مـرةً ... وأرى طيـفَ حبيبـي مـرَّتينْ
عَلِقـتْ منـه بعينـي بسـمةٌ ... أفعمـتْ عمـريَ مـن سـعدٍ وزيْـنْ
وحَبَـتْ سـاحة رؤيـاي سـناً ... وشـفاهُ الكـون ثغـراً مـن لـُجَينْ

يـا حبيبـاً لـم يـزل مـن جرسـهِ ... مـلء أجـوائي، صـدىً للنغمتـينْ:
نغمـة الهمـسِ بآهـاتِ الهـوى ... ونجـاوى الصـمتِ بـين الخـافقينْ
ويزيـدُ الصـمتَ معنـىً بيننـا ... نفـسٌ دورتـه مـن دورتـينْ
نَفـَسٌ ملتهـبٌ كـُوِّنَ مـن ... ذوبِ نفسـينا ومـزجِ النفسـينْ
نفـسٌ نيرانـه قـد تركـتْ ... أثـَـراً فـي وجههـا فـي الـوجنتينْ
كـم لنـا، فـي رمضـانٍ، خلـوةٍ ... ثمَـلَ القلـبُ بهـا مـن غيـر شـَينْ
ولـُبانـاتٍ قضـينا بعضـها ... وتركنـا بعضـها مـا بـينَ بـينْ

وخيـالاتُ رؤى يقظتنـا ... أطلـَقـَـتنا لهوانـا هـائمينْ
شـرد الحلـمُ بنـا عـن ذاتنـا ... واستوى في حِسِّنا صدقٌ ومَيْنْ*
المنـى تشـدو لنـا ألحاننـا ... وعيـون الحـبِّ تـروي قصـتينْ
فـي بيـانٍ صـامتٍ ألفاظـه ... لهثـاتٌ واشـتباكات يـدينْ
وحنايـا رَنـَّمَتْ أنغامهـا ... زفـرتين هامتـا فـي زفـرتينْ
زفـرةٌ فـي زفـرةٍ ممـدودة ... تتراخـى فـي طوايـا الأذنـينْ
قـد سـرتْ كـالخمر فـي نشـوتها ... تتمطـى راحهـا فـي السـاعدين
وأثـارتْ نـزوَةً فـي غورنـا ... وكـذا كنـهُ الـورى: تقـوى ورَيْـنْ*
فرنـا ثغـرٌ إلـى ثغـر جـوىً ... مُـذكِياً فـي كـل ثغـرٍ جمـرتينْ
وارتمـى خـدٌ علـى جـيدٍ صـدىً ... مُلـْهِـباً فـي كـلِّ صـدرٍ جـذوتينْ
الهـوى أفطـرَ فـي أعماقنـا ... ولبثنـا رغـم هـذا صـائِمَيْنْ

يـا حبيبـي كـم لنـا مـن منهـلٍ ... خـَـصِرٍ* ينسـابُ بـينَ الجَنـَّتينْ
وعيـونٍ مـن نميـر* كـوثرٍ ... ثـرَّةٍ* تضـحكُ مـن مُلتـَهـبينْ
الهـوى يلهـثُ فـي غوريهمـا ... مـاردٌ مُحْتـَـجَزٌ فـي قمقمـينْ

يوصـــل النفثـــة* جمـــراً واقـــداً ... وشـــرارٌ هُـــجَّ* مـــن حَنْـــجَرَتينْ
لـــم تســـيغا، فـــي عنـــادٍ مـــؤمن ... أن تـُـبلا ّ غـُـلةً فـي رشـفتينْ
لاب فـــي توقهمـــا كبـــت الصـــبا ... فهـــوى ينهـــلُ راحَ المقلتـــينْ

يـا حبيبـي كـم تلاقـت فـي الـرؤى ... نـَظْـرَتانا، شـَغـَفاً، عينـاً بعـينْ
وتجاذبنـــا أحاديـــث الجـــوى ... وتباثثنـــا شـــكاوى ظـــامئين
همســـاتٌ مثـــلُ أصـــداء الشـــجا* ... تتســـارى فـــي نجـــاوى عاشـــقيْنْ
ولقـــد قلـــتُ وفـــي نهـــديكِ مـــن ... نظراتـــي رعشـــة كالومضـــتينْ:
إن فـــي عينيـــكَ ســـراً عجبـــاً ... يُـــذهِبُ العـــيَّ فيـــوري النشـــوتينْ
قلـتُ: لا بـل ذاك مـن خمـر الصـبا ... والمنـــى رنـَّـــحنا تـــرنيحتينْ
فقرعنـــا الســـنَّ بالســـنِّ هـــوىً ... وذكرنـــا الله عنـــد القبلتـــينْ
وتهـــاوتْ ولهـــاً يَقـْظـَتـُنَـــا ... وتلقانـــا الكـــرى فـــي لحظتـــينْ
غامـــتْ الأعصـــاب فـــي غفوتنـــا ... وســـهتْ قافيـــةٌ عـــن مُنْـــشِدينْ
هَـــوَّمَ* الشـــعْرُ علـــى أفواهنـــا ... شـــفتين ٍ ذابتـــا فـــي شـــفتينْ
وعيـــونٍ أســـعدتْ أحلامهـــا ... لـــذةٌ مـــلءُ الـــدنى فـــي غمضـــتينْ
وتغيبْنـــا عـــن الكـــون معـــاً ... غيبـــةً منســـوجةً مـــن غيبتـــين
غَيْبَـــةً قـــد عَلـَّمَتـْنـَـــا أننـــا ... فـي الهـوى روحٌ سـرتْ فـي بـدنينْ

حَـــرَمُ الحُـــبِّ الـــذي يجمعنـــا ... لـــم نـــزلْ لـــولا حِمـــاهُ حـــائمينْ
لـــم نقـــعْ فيـــه وصنـَّـــا ذِممـــاً ... وســـنبقى طـــائفينِ عـــاكفينْ
ولقـــدْ نغفـــلُ عـــن بعـــضِ التقـــى ... ثـــمَّ نـــأوي للهـــدى مســـتغفِرَيْنْ
الشـــبابُ الغـــضّ ُ فـــي جمحتـــهِ* ... كـــم عصـــرنا عـــوده بـــالراحتينْ
كـم أدَنـَّا الـدهرَ صـبراً فـي النـوى ... وجرعنـا غـُـصصاً فـي عُمُـرَيْنْ
هـــذه الغفلـــة عـــن بعـــض التقـــى ... لصِـــبانا، والهـــوى إيفـــاء دَيْـــنْ

٣٤

طيف

جبل الأربعين – أريحا: ١٣٨٠-١٩٦١

مع أشعة الربيع الأولى، خلوة شعرية في «الجبل».
للأزهار أريجٌ مثير... وللذكريات... في أجواء العزلة، صداها الشجي..
سبحات هوى... ورحلة أحلام... مع «طيف» شرود...
وفي المآل... من المظهر إلى الجوهر... انعتاق وإشراق... تسليم ونعيم...

طيف
تلمـــع فـــي الأحـــداقْ
مـــن قلبـــي الخفـــاقْ
لـــواعج الأشـــواقْ

القـــدر الآســـرْ
الســـاعد القاصـــرْ
وشـــيمة الشـــاعرْ

واليـــأس والرجـــا
فـــي هـــدأة الـــدجى
تـــُأجج الشـــجا

هـــم لـــه رنـــينْ
فـــي أضـــلعي دفـــينْ
يُضـــاعف الحنـــينْ

هـــمٌ هـــوى جَمـــوحْ
ومطلـــبٌ طـــَموحْ
وهِمـــةٌ سَـــبوحْ*

فـــي يقظـــة الكـــرى
أرنـــو ولا أرى
والـــروح فـــي سُـــرى

يُغـــذ* لا يهـــدأ ْ
يبحـــث عـــن مرفـــأ ْ

والمنتهـــــــى مبـــــــدأ ْ

فـــــــــــــــدهره دوارْ
وعمـــــــــــره تِســـــــــيارْ
يحيـــــى غريـــــب الـــــدارْ

أمَضَّـــــــــــني اللغـــــــوبْ
وهـــــــاجني الغـــــــروبْ
فـــــي موكـــــب الطيـــــوبْ

فـــــــــذهلت نفســـــــــــي
عـــــن عـــــالم الحـــــسِّ
وذبـــــت فـــــي الشـــــمسِ

وسِـــــــــحتُ بالأوهـــــــــامْ
أكتنـــــــــفُ الغمـــــــــامْ
كـــــــــأنني منـــــــــامْ

عِفـــــتُ دنـــــى المعقـــــولْ
وغصـــــــتُ بـــــــالمجهولْ
فـــــي طلـــــب المـــــأمولْ

أركـــــبُ ذيـــــل الليـــــلْ
ويـــــا لـــــه مـــــن ذيـــــل
يميـــــل كـــــل الميـــــل

وقلبـــــــيَ اللهـــــــوف*
فـــــي جَنَّـــــة الطيـــــوف
موَلـــــــــهٌ مشـــــــــغوف

يَهـــــيمُ فـــــي الـــــدروبْ
ويســـــــــألُ الغيـــــــوبْ
عـــــن طيفـــــه المحبـــــوبْ

طيـــــفٌ لـــــه أطـــــوار
وجنـــــــــةٌ ونـــــــــارْ
دنيـــــا مـــــن الأســـــرارْ

غـــــورٌ بـــــه شـــــرودْ
أنـــــأى مـــــن الحـــــدود
مُغـَـــــــيَّبٌ مشـــــــهودْ

طيـــفٌ عزيـــز الـــذاتْ
فـــــي حزنـــــه لـــــذاتْ
ملتـــــــبس الصـــــــفاتْ

طـُهـــــرٌ لـــــه مجـــــونْ
يســـــــتعذبُ الحُـــــــزونْ
ويعشـــــــق الســـــــكونْ

فـــــي عزمـــــهِ وجـــــومْ
فـــــي صـــــحوه غيـــــومْ
كـُـــــنهُ ابنـــــة الكـــــرومْ*

تجـــــــــــــــــددٌ دِرَاكْ
متقـــــــــدُ الحَـــــــــراكْ
يحيـــــا علـــــى العـــــراكْ

ســـــــــجية اللهيـــــــــبْ
فـــــي خلقـــــه العجيـــــبْ
تخفـــــــق كالوجيـــــــبْ

مُلـــــكٌ لـــــه أبـــــراجْ
طبـــــــائعٌ أمشـــــــاجْ*
كأنهـــــــا أمـــــــواجْ

فـــــي بحرهـــــا تـــــدورْ
فتـــــــارة تمـــــــورْ
وتـــــــارة تثـــــــورْ

طيـــــف لـــــه ســـــنى
يـــــرقص فـــــي الـــــدنى
كبســـــــمة المنـــــــى

إنســـــــانه فنـــــــانْ
فـــــي قلبـــــه أكـــــوان
لـــــيس لـــــه شـــــطآنْ

كعـــــــالِمٍ مســـــــحورْ
لـــــه صـــــفاء النـــــورْ
ورهبـــــة الـــــديجورْ*

مطمـــــــئنٌ مُفـــــــزعْ
مشـــــــاكسٌ ممتـــــــعْ
مُوَلـــــــــّدٌ مبـــــــدعْ

فـــــي نـــــاره نـــــدى
كحيـــــــرة المـــــــدى
كالتيـــــــه كالهـــــــدى

فمـــــرَّة فـــــي البيـــــدْ
يختـــــالُ كالعربيـــــدْ
يرنـــــو إلـــــى بعيـــــدْ

ومَـــرَّة فـــي الـــروضْ
كبطـــــة فـــــي حـــــوضْ
جُـــل مناهـــا الخـــوضْ

ومـــــــرة زهـــــــرهْ
ومـــــــرة خمـــــــرهْ
ومـــــــرة جمـــــــرهْ

فـــــي نفســـــه ملَـــــكْ
يلفـــــــهُ حلـــــــكْ*
كأنـــــــه فلـــــــكْ

طيـــــفٌ لـــــه ألطـــــافْ
ذوْقِيَّـــــةُ الأوصـــــافْ
شـــــهية القطـــــافْ

حُلـــــمٌ بـــــه مـــــلالْ

منطلـــــــقٌ مِكســـــــالْ
يَبْـــــــذِلُ فـــــــي دلالْ

الحـــــضّ فـــــي عذلـــــهْ
والجـــــور فـــــي عدلـــــهْ
والجـــــد فـــــي هزلـــــهْ

والهـــــزلُ فـــــي نُهـــــاهْ
كأنـــــــــه مُـــــــــراهْ
لمســـــــــرح الحيـــــــاه

***

تلاءمـــــــتْ ظـــــــلالْ
فـــــي رقـــــة الخيـــــالْ
وبهجـــــــة الآمـــــــالْ

مـــــن رونـــــق الزهـــــورْ
مـــــن نشـــــوة الطيـــــورْ
مـــــن خلجـــــاتِ النـــــورْ

مـــــن نَـفَـــــسِ الســـــحابْ
مـــــــن أرجِ المـــــــلابْ
مـــــن المنـــــى العِـــــذابْ

وضـــــــمها الربيـــــــعْ
فـــــي جـــــوه البـــــديعْ
وذوقـــــــــه الرفيـــــــعْ

وأقبلـــــــتْ نحـــــــوي
مِثـــــلَ صـــــدى الشـــــدو ِ
فـــــي موكـــــبِ الصـــــفو ِ

وأشـــــرقتْ فـــــي العـــــينْ
ثغـــــراً مـــــن اللجـــــينْ
يبســـــــــمُ بســـــــــمتينْ

مـــــدتْ إلـــــى قلبـــــي
أنامـــــــــلَ الحُـــــــبِّ
كرحمـــــــــة الـــــــرب

هاتفـــــــــةً همســـــــا
تقـــــــول: لا تـــــــأسَ
واســـــعدْ وطِـــــبْ نفســـا

مـــــا باعِـــــثُ الشـــكوى
وقلبُـــــــكَ المثـــــــوى
لِطيـــــفِ مـــــن تهـــوى

إن رُمْـــــــتَ أن تلقـــــاهْ
فـــــانظر إلـــــى مِـــــرآهْ
لا بُـــــــدَّ أن تـــــــراهْ

دانٍ وإن نـــــــــــــأى
يُسْـــــــعِدُ مـــــــن رأى
أحلـــــى مـــــن الـــــرؤى

***

أبصـــــرتُ فـــــي المـــــرآهْ
تحـــــــــرُكَ الشـــــــفاهْ
تبثنـــــــــي هـــــــواه

ووجهـــــــة الخـــــــدينْ
ومضـــــــة العينـــــــينْ
فـــــي سِنـَــــةِ* الجفنـــــينْ

فرُحـــــتُ فـــــي هُيـــــامْ
تســـــري بـــــيَ الأحـــــلامْ
إلـــــــى ذرى الأهـــــــرامْ

تُشـــــرفُ بـــــي ذكـــــرى
ســـــــاعاتنا الســـــكرى
علـــــى الرُبـــــى الخضـــــرا

الشـــمس فـــي الأصـــيل
محلولـــــــة الجـــــديلْ
علـــى ضـــفاف النيـــلْ

فـــــي قلبهـــــا حُـــــرَقْ
لـــم تـُــبْقِ مـــن رمـــقْ
تســـعى إلـــى الغـــرقْ

تـــُطفي بـــي الجـــوى
وسَـــــورة* الطـــــوى
وتكـــــــتمُ الهـــــوى

والنـِّيـــــلُ كالـــــدهرِ
فـــــي هونـــــه يجـــري
مُلتـــــــبسُ الأمـــــــر

كـــم فيـــه مـــن زورقْ
وموجـــــــةٍ تشـــــهقْ
وأرجٍ يعبـــــــــــــقْ

وكـــــم حـــــدا حـــــاذْ
لـــــــرائحٍ غـــــــاذْ
علـــى هـــوىً صـــاذْ

كـــم أقبلـــتْ ليـــالْ
كبهجـــــــة الآمـــــــالْ
فـــي موكـــب الأجيـــالْ

وكـــم طـــوى الزمـــانْ
فـــي الأفـــق الهيمـــانْ
مـــن شـــفقٍ حيـــرانْ

***

بنفســـــــجُ الغيـــــومْ
باقاتـــــــه تحـــــــومْ

حـــولَ ســـنا النجـــومْ

وزورق الأحـــــــــــلام
ظمـــــــآنُ لا ينـــــــامْ
يـــرعشُ فـــي الظـــلام

لـــــيس لـــــه مـــــلاحْ
يُغالِـــــــبُ الريـــــاحْ
فـــي نـــزَقٍ ملحـــاحْ

فـــي بســـطةِ الســـكونْ
مغـــــرورقُ العيـــــونْ
تَـهـــــــيِجُهُ شُـــــــجونْ

يفغـــــرُ منهـــــا فـــــاهْ
مُبلـــــــلَ الشـــــــفاهْ
والوقـــد فـــي حشـــاهْ

النـــــــاعم النـــــــاقمْ
الصـــــــامتُ النـــــاغمْ
الـــــــرابضُ الهـــــائمْ

مـــن قلـــقِ الشطَّـــيْنْ
يهتـــــــزُ هـــــــزَّتينْ
يشـــكو الجـــوى والبـــينْ

شِـــــــراعه غائـــــــبْ
وتوقـــــــه لائـــــــبْ
يرنـــو إلـــى صـــاحبْ

يعصـــفٌ فـــي رهـــوِهْ
والبَـــثُ فـــي شـــجوهْ
يهفـــو إلـــى صِـــنوهْ

وخِلـــــــه الأمـــــــينْ
كمـــــــاردِ ســـــــجينْ
يَخْطـــرُ فـــي العـــرينْ

مُقتـــــــــدرٌ عـــــــاجزْ
يحجـــــــزه حـــــــاجزْ
عـــــن هـــــدفٍ جـــــاهزْ

رغائـــــــبٌ* رغـــــــابْ*
مقطوعـــــــة الأســـــبابْ
لِقـــــــدرٍ غـــــــلابْ

***

وعـــــــادني التحنـــــــانْ
يجـــــيشُ فـــــي الجنـــــانْ
ويغمـــــــــر الكِيـــــــانْ

ونشـــــــــأتْ فجـــــــوهْ
تَـشُـــــــــبها نـــــــزوهْ
فـــــي كبـــــدِ النشـــــوهْ

قـــــد بَعُـــــدَ المـــــدى
ولـــــم يعـــــدْ نـــــدى
يَبُـــــل لـــــي صـــــدى

وأبْـــــتُ فـــــي لغـــــبْ*
يَـــــؤُجُ بـــــي سَـــــغَبْ*
مُحيِّـــــــــــــرُ الأربْ

فـــــي لهفـــــة غرثـــــى*
تملِكنـــــــــي إرثـــــــا
أصـــــبو إلـــــى أنثـــــى

أصـــــــبو ولا أســـــــيرْ
فصـــــــيحةُ الضـــــميرْ
تصـــــــرَخُ كـــــــالزئيرْ

تمـــــــرد الحمـــــــأ ْ*
والـــــروح فـــــي ظمـــــأ ْ

صـــبا ومـــا صـــبأ ْ

والقـــــُربُ يغرينـــــي
والبعـــــدُ يُشـــــجيني
والتـــــوق يفنينـــــي

وهكـــــذا دنيـــــا
فـــي شِـــرعة المحيـــا
رويـــــةٌ* صـــــديا*

لكنهـــــا آنـــــاء
مآلهـــــا الفنـــــاءْ
آلٌ* ومـــا مـــن مـــاء

الثغـــــرُ والأحـــــداق
والمظهـــــر البـــــراقْ
والغيـــــبُ والإشـــــراقْ

نجـــــمٌ إذا أفـــــلْ
يودعـــــهُ الأجـــــلْ
فـــــي قبضـــــة الأزلْ

***

ستنقضـــــي الآمـــــادْ
وتنطـــــوي الأبعـــــادْ
والكـــــونُ والعبـــــادْ

وتبـــــرأ الجـــــروحْ
ويطمـــــئنُ الـــــروحْ
فـــــي كنـــــفِ الســـــبوحْ*

فجـــــوهرُ الإنســـــانْ
الحـــــبُ والإحســـــانْ
الصـــــبر والإيمـــــانْ

يلبـــــثُ لا يحـــــورْ*

معدنـــــه مـــــن نـــــورْ
أبقـــــى مـــــن الـــــدهورْ

الجـــــــوهرُ الوَلـــــــودْ
يُمْلـــــي علـــــى الوجـــــودْ
حقيقـــــــة الخـُــــــلودْ

رُوحٌ مـــــــن الـــــــدَّيانْ
يســـــمو عـــــن المكـــــانْ
وعـــــن مـــــدى الزمـــــانْ

٣٥

فقر الرجال

حلب: ١٣٨١ ــ ١٩٦١

الوَحدة... أملٌ عظيم، وشأوٌ خطير... كانتْ، لما كانت بين مصر والشام، عزماً صادقاً، وتوجها واثقاً.

وكان، وا حربا، أن تخَـلَّفتْ ممارستها، وسياسة السير بها، عن المستوى الجدير!

وانكشف خلال ذلك، حقائق «الرجال» ومغبات الارتجال...

ومن الثغرات... تسربَ الداء وتفاقم، ولا حيلة للمخلصين، إلا النقد الناصح البناء.

ووقعتِ الواقعة...

وجاء صديقي، الذي طالَ ما سمع نقدي، يحدثني عن «أفراح الشعب»، مُقدراً أني سأسَرّ ُ بالانفصال!!

قلتُ له: إنه خطبٌ جلل...

والجماهير التي تُظهِرُ الفرح... هي هي «هتافة» كل «انقلاب»!!

فقر الرجال

يُسائلني خِلي أما ابتسمَ الفجرُ ... فما لكَ لا يفترّ ُ عن بِشركَ الثغرُ
وما للورى هزَّ الأثيرَ* هُتافهُ ... وفي الأنديات* القوم آراؤهم كُثْرُ
وأنت وجيمُ* الصدر حيرانُ مُثقلٌ ... يكاد يشي بالهمِّ تسترهُ، الصدرْ
صَموتٌ، وللأحداثِ في الناس مِقْوَلٌ ... يروحُ ويغدو، والمحافلُ تجترُ*
أتصمتُ صمتَ العِيي أم إنها الحِجى ... فقلتُ: صَمٍ*؛ فالأمرُ في جهره سِرّ ُ
فما أنا محزونٌ على حاكم هوى ... ولا أنا مسرورٌ لقاصمة تعرو
نزعنا قيود البغي لكن بقطعِنا ... مخالبَ صقرٍ كان يحتاجها النصرُ

بلادي بلادُ الشام رائدة الهُدى ... بلاد النُهى والمجد، يحزبها أمرُ*
أأرتاح والأقدار أبهمَ دربها ... وأضحكُ في أمرينِ أحلاهما مُرُ
وأخشى الذي أخشى سياساتُ معشرٍ ... على جورهم في حكمهم يقعُ الوزرُ
وما شأنهم في الناس، رغم رئائهم ... بخافٍ، وهل يخفى على مُبصِرٍ مكرُ
ولكنه فقر الرجال، وميلُنا ... عن النشأ الأخيارِ، يُعْوزُهُمْ خُبْرُ
نقول: شبابٌ! والشبابُ مَزيةٌ ... ومن فاته الإخلاص لم يجدِه العمرُ
ولابد للعبء الرزاحِ* من الفتى ... له عزماتٌ من توقدها الجمرُ
أجل إنه فقر الرجال أتى بهم ... قديماً فأقصى حظهم في العلا الفقرُ
فإن وُسِّدوا أمر البلاد وما ارعوت ... سياساتهم، فالسّرّ ُ مُعْقِبهُ ضرٌّ*
إذا عاودوا نبذ السدادِ وأسلسوا ... لحزبيةٍ رعناءَ مِقْوَدَهُمْ خرَّوا
وجروا علينا ويلهم وتنصلوا ... وقد عودونا كُلما أخفقوا فروا!

تـُسائلني يـا خِـلُ عـن همـيَ الـذي ... أعـاني، وهل يرتـاحُ مـن همـه الحُـرّ ُ
مروءتـــه مـــلء الحيـــاة حـــوافزٌ* ... تـزجّ ُ بـه فـي مسـلكٍ سـهلهُ وعـرُ
همـــوم البرايـــا كـــُلها هـــمّ بهجتـــي ... وقلبـي؛ وأوطـاني هـي البؤبـؤ الـوفرُ*
وإنـــي امـــرؤٌ جـــمُ الشـــجونِ مُـــرَزّأ* ... وما التسعة الأمزاعُ من كـبِـدِي سِرّ ُ
غضيض شكاتي الدهر، أمزحُ والأسى ... بغـــوريَ فـــوارٌ، يُنْـــكِرُه الكِبـــرُ
سـجايا لأمـر الله تصـغي، وترتقـي ... إلـى خلـق فـي النـازلاتِ هـو الصـبرُ

٣٦

المرجفون

دمشق: ١٣٨١- ١٩٦٢

المرجفون

الجـــاهلونَ وقـــد أقـــاموا .. صَفـَّهُمْ فـــي العـــالمينْ
المُـــدَّعونَ بـــــلا هـــــدى الجـــازمونَ بـــلا يقـــينْ
الزاعمـــونَ علـــى سَفَـــاهٍ* .. أنهـــم شـــرعٌ مُبـــينْ
سقطُ* النفوسِ ويفرضـونَ .. عليكَ أنْـفـُـسَهُمْ كـديْنْ
الواهِمـــونَ بـــأنَّ جعجعـــةَ الكـــلام هـــي الطحـــينْ
العـــاملون علـــى هـــواهم .. يـــا لبـــؤسِ العـــاملينْ
المُرْجـــفِونَ* علـــيَّ زوراً .. أننـــي فـــي القاعـــدينْ
الحَـق فـي حـرز الملائـكِ .. كـــاتبينَ وحاســـبينْ
والفصـلُ، يـوم الفصـلِ مـا بـــينَ البرايـــا أجمعـــينْ
إنـــي تركـــتُ حســـابهمُ للهِ ربِّ العـــــــالمينْ

٣٧

أمي

جبل الأربعين – أريحا: ١٣٨٢-١٩٦٢

العاطفة بيننا، كانتْ تتجاوز البر والحب؛ فقد كانت مودة في الأعماق الإنسانية، وضرباً من عشق المثل الأعلى في الصبر والإيثار.

... وكُنتُ في «الجبل» أترقب قدومها ولكنّ هاتفاً قال: إنها مريضة!

فأسرعتُ فوراً إلى «حلب» لأراها شبحا ممدداً مصفراً، تستقر البسمة على شفتيه، وقد غادرته الروح، تاركةً إشراقها عليه!.

ألا رحمها الله، وأحسنَ جزاءها، أمي،... نفسٌ مطمئنة رجعتْ إلى ربها، راضيةً مرضية...

أمي

أخي، لا تقل رفقاً، فهل يجد الرفقا ... فتى شقَّ هولُ الخطبِ مُهْجَتَه شقَّا
ولا تجذبِ الصدر الذي فوقها حنا ... ودعني على جثمانها، أبداً، مُلقى
أطوقهُ ما شاء وجدي ولوعتي ... وألثَمُهُ لثماً، وأنشَقُهُ نشقا
أوَسِّدُه زندي، وأدنيه من فمي ... وخدي، وأبكيه، وألتزمُ العُمقا
ولو أن نارَ الحُبِّ ذادتْ مَنِيَّةً ... لَدتّ الردى عنها، وأحييتها عِشقا
فلا تزجرِ الدمعَ السخيَّ فإنني ... يكاد نشيجُ* الحزنِ يخنقني خنقا
يَئِن الجوى في أضلعي وحُشاشتي* ... ويزحمُ أنفاسي ويسبقها سبقا
له زفرة من جذر نفسي تَصَعَّدَتْ ... وإن لها في كلِّ أطرافها عُمقا
وهذا وجيبُ القلبِ لو كان واجداً ... مسالِكَ بعد الصدر يسلكها طلقا
لطارَ بجسمي في السماواتِ مُصعِداً ... وجاوَزَها، والوَجدُ يخفقه خفقا
يُفتشُ في الأرواح، عن روحِ أمهِ ... ليبعثها بعثاً، ويخلقها خلقا

أخي، كيف لم تُخْبر أخاك بدائها ... لِيُفرغَ في إسعاف عِلتها الطوقا
علاجاً، ولو لم يشفها، فهو حَسْبُهُ ... أما بَذلَ الجهدَ الجُهادى* فما أبقى
وتعلمُ أني أركبُ البرق ساعياً ... إليها، فإن لم يعنُ* لي، أكُنِ البرقا
وتعلمُ ما في نفسها من محبتي ... أما كنتُ أروي، لو حضرتُ لها شوقا
عفا الله، هذي عَبْرة أبَدِيَّةٌ ... فلا.. لا تلمني إن شرقتُ بها شرقا

أخي.. لا تقل بالغتَ! واللهِ إنها ... لواعِجُ من روحي إلى مِقولي ترقى
ووالله لولا عزمةٌ عُمْرية ... من المعدِنِ الأسمى لَعِشْتُ بها أشقى
هي الأمُ، رُكْنٌ قَدَّسَ الله شأوَهُ ... وأرسى به في الكونِ رحمته حقا
وشادَ على أقدامه جنة الرضا ... وكرمهُ في الخلقِ مذ برأ الخلقا
وأمي لها في ذاتها وصفاتها ... سجايا، من الأماتِ ، في نظري،

كـأني بهـا صِـيغتْ مـن البـرِّ والتقـى ... أنقـــــــــــــــــــــــــــــــى
وأنَّ لهـا فـي وجههـا منهمـا ألقـا*

لقـد أورثتنـي عـن أبـي شِـيَمَ النهـى ... فلـم أرتكِـبْ حوبـا* ولـم أهتضـم حقـا
وقـد غلغلـتْ بـي مـن جميـل طباعهـا ... حنانـا وإيثـاراً، ومـن ذوقهـا ذوقـا
وقـد صَحِبَتْـني فـي سـبيلي إلـى العـلا ... ومـن خُلُـقِي أن لا أسَـاقَ لهـا سَـوقا
وقـد وجَّهـتْ طرفـي إلـى أرفـعِ المنـى ... فأصـبحتُ أبغـي فـوق ذِرْوتهـا فوقـا
جـزى روحهـا الـرحمنُ أكـرمَ مـا جـزى ... بـه البـرَّ والإيثـارَ والخُـلُـقَ الأتقـى
وسَقّـى الضـريحين اللـذين فيهمـا أبـي ... وأمي، من الرضوانِ أطهرَ ما يُسقى
ولقاهمـــا مـــن نضـــرةٍ وســـكينةٍ ... وألقـى علـى نفسـيهما خيرمـا يُلقـى

لقـدْ عَـزَّ هـذا الخطـبُ حتـى إخالُـني ... رهيناً به، طوعاً، فلنْ أطلُـبَ العِتقا
وقـد طـوَّفـتْ أصـداؤه الأرضَ والسـما ... وقـد بلغَـتْ أنبـاؤه الغـربَ والشـرقا
ففي كلِّ يومٍ يحملُ «البرق» من أخٍ ... تعازيَ، ما فرَّجن عن قلبيَ الرِّبْقـا*
وفـي كـلِّ يـوم فـي البريـد رسـائلُ ... تكفكِـفُ دمعـاً زاده وَقْـعُها دَفقـا
وإنـي لأدرى النـاس فيمـا يقولـهُ ... لـيَ النـاس، إيمانـا وموعظـة صـدقا
علـى أنَّ حِلـمَ المـرء فـي فجـأةِ الـردى ... يـزوغ، ولكـنْ فجـأة الخطـبِ لا تبقـى
يـؤوبُ إلـى التسـليمِ لله ذو الحِجـا ... وإن غدقتْ عيناهُ، في حزنها، غدقا
أيـا أمتـا، لا تجزعـي، لسـتُ بالـذي ... عصـا الأمـر، فـي صـبر عليـك، ولا
تُكَـرِّرُ حمـدي عنـكِ لله فـي الـذي ... عقـــــــــــــــــــــــــــــا
طمأنينـة الإيمـان لا تـذهِبُ الجـوى ... قضـاهُ، دُمـوعٌ لا تَـقـَر ولا ترقـا*
ويُسْـعِدُ نفسـي فـي لظـى اليُتمِ أن لـي ... ولكـن بهـا نعنـو لمـن ذرأ الخلقـا
وسِـرَّاً خفـيَّ الكُـنهِ يـؤنسُ غربتـي ... رضاً منكِ أحيا العمرَ فيه فلا أشقى
وطيفـاً بـدا فـي كـلِّ أفـقٍ رمقتـه ... وروحاً جنانياً عن الوصفِ قد دقا
وأنـي بحدسـي، شِـمتُ مثـواكِ سـامقا ... تمنيتُ لـو أسْـكنتُ، حُبّـًا بِـهِ، الأفقا
وروَّى إلـى يـوم النشـور ترابَهـا ... لـدى الله، زاد الله روضـته سـمقا
وأنـي علـيمٌ أنـه المـوتُ، حُكمـهُ ... المعطـَّر مـن هتـانِ رحمتـه ودقـا*
وأنَّ يقينـي أننـا كلـنا لـه ... مـن الله، صـدعٌ لا نطيـق لـه رتقـا
فللـه مـا اسـتوفى، ولله مـا اسـتبقى

منايـا، وأقـدارٌ، وسَفْـرٌ قوافـلٌ ... وأرواح خلـق نحـوَ بارئهـا ترقـى
عَجِـبتُ لمـن لـم يسـتفقْ مـن شـروده ... كـأن علـى عينيـه مـن غفلـةٍ دِبقـا*

٣٨

بشائر كتشاوا

الجزائر: ١٣٨٢-١٩٦٢

«كتشاوا» المسجد الكبير، في «الجزائر» العاصمة، اغتصبه الفرنسيون، أول عهدهم بالاحتلال، وجعلوه «كاتدرائية» بعد أن أبادوا المصلين فيه، والمدافعين عنه!

دارتْ الأيام دورتها، وقامت حرب الجزائر الإسلامية... سبع سنين، جهاد مقدس حتى النصر...

وكان أول ما طالب به الشعب الجزائري المؤمن بعد الفتح المبين: «كتشاوا» يعود مسجداً لله...

كان «البشير الإبراهيمي» رحمه الله، رئيس جمعية العلماء، خطيب الصلاة الأولى وإمامها، رغم شيخوخته ومرضه، في جمعة جامعة مشهودة، حضرتها مع وفود العالم الإسلامي، لاحتفالات أول ذكرى للثورة، بعد الاستقلال.

صلاة ليس بينها وبين الله حجاب، كلها حمد ومجد، وخشوع ودموع...

بشائر كتشاوا

يجلجلُ الحقُ والأكوان آذانُ ... بأن آية هذا النصر إيمانُ
صوتٌ من الله قد أملى إرادته ... فهبَّ يسعى لها شِيبٌ وشبانُ
كان الجهاد عريقا في ضمائرهم ... كما تفاعلَ في الأعماق بركانُ
فحينَ نادى أذان الله واشتعلتْ ... وغىً تلاحمَ إيمانٌ وكفرانُ
وحصحص الحق في الميدان وانطلقتْ ... كتائب الله حتى اندكَ طغيانُ

جزائرَ المجد، والدنيا لها دُوَلٌ ... ودولة الحق آبادٌ وأكوانُ
قالوا: «العروبة»، قلنا: إنها رحِمٌ ... وموطن.. ومروءات.. ووجدان
أما العقيدة والهدي المنير لنا ... دربَ الحياة، فإسلام وقرآن
وشرعة قد تآخت في سماحتها ... وعدلها الفذ، أجناس وألوانُ
قلب من النور يحيي جسم حامله ... له جناحان: إيمان وإحسان
إذا تباهت حضارات بمحتدها ... وشاد مجد بني الإنسان إنسان
فذروة العز في ممتد عالمه ... ورافع الصرح ما داناه بنيان
"محمد" اللهِ، أنماه وأبدعه ... أمراً حكيماً، وشأناً دونه الشأنُ
رسالة ورسول جل ربهما ... والدين أجدر من يرعاه ديان

يا صائنين، برغم البغي، دينكمُ ... وظافرين، وقد صينوا بما صانوا
يا عصبة كتب الله العزيزُ بهم ... لأغلِبَنَّ، فما حادوا ولا هانوا
إن الغيوبَ، بحور الله تمخرُها ... أقداره، وقضاء الله رُبانُ

بنـــتْ لكـــم بأعـــاديكم مرابِـــعَكمْ* فكلهـــا اليـــوم جنـــاتٌ وأفنـــانُ
ووسدتْـــكمْ عروشـــاً كـــان يحكمكـــمْ منهـا الطغـاة وكـم جـاروا وكـم مـانوا*
كـم أبرمـوا كيـدهم فـي فـك ذي طبـع* علـــى إبـــادتكم، والعـــزم غيَّـــان*
فكـان مـن أمـرهم مـا كـان، وانـدثرتْ أيـــامهم، فكـــأن القـــوم مـــا كـــانوا
وأعْقَـــبَ الصـــبرُ مجـــدا مـــن تألقـــه تشـدو الـدنى، ومنـى العليـاء تـزدانُ
والصـبر لله، موصـول العطـاء بـه، ولا حِســـاب إذا مـــا مَـــنَّ رحمـــنُ

جزائـرَ المجد، غيضَ المـاء، وانعقدتْ لـــكِ الحيـــاة، ولـــم يغلِبْـــكِ طوفـــانُ
عُنـاة* أمسـكِ قـد عـادوا غطارفـة* وحـــاقَ بـــالبغي والبـــاغينَ خســـرانُ
دهـر مـن الظلـم، لا عـام، ولا مئـةٌ ولا ثلاثـــون، بـــل كفـــرٌ وبهتـــانُ
قـــد انمحـــى؛ فاســـجدي لله خاشـــعة فـــاليومَ عـــدل، وتوحيـــد، وشـــكرانُ
وحـاذري أن يحيـد السـعي عـن جَـدَدِ الإيمـــان، إن صـــراط الحـــق ميـــزانُ
وغيـــــرة الله لا تنفـــــكُ مســـــلطة يقظـــى، وللحكـــم عنـــد الله إبـــانُ

تفاءلـت فـي دمـي ، بالنصـر، ثورتـه علـــى الظـــلام، ونـــور الله هَتـــانُ
أكـاد أنظـر، والرجـوى* موجهـة ٌ إلـــى الســـماء، وللتصـــميم إمعـــانُ
يومـا هـو الفـتح، إذا صَـحَّتْ عزائمنـا علـــى الجهـــاد، وأمـــر الله فرقـــانُ
صلى البشير بـ«كتشاوا*» وقد خَلصتْ شـــيخاً تهـــدم، والآمـــال فتيـــانُ
هـذي بشـائر «كتشـاوا» لـ«قرطبـةٍ» وفـي غـدِ العُـربِ والإسـلامِ برهـانُ
هيهـاتَ تقـدرُ أن تجتـث مـا غـرزتْ يـــدُ الإلـــه، طواغيـــتٌ وأوثـــانُ

٣٩

غربة روح

مدريد: ١٣٨٢ ــ ١٩٦٢

في «الأندلس»... مجدٌ وأي مجد، ما تزالُ آثاره ماثِلة... تضحكُ وتبكي...
وعدتُ من «قرطبة» و«إشبيلية» و«غرناطة»... إلى «مدريد» تنشج الحسرة
في زفراتي، ويكاد طموحي الحيران، يخرجُ بي عن إهابِ الإنسان!!
والجمال... والكبت... والحرمان... بركان
عيونٌ بلا خفر... كأنها خمر من جمر، تشربك... ولا تشربها.!!
عدتُ إلى «مدريد»... إلى غربتي... وحرقتي... ونجواي مع الله...

غربة روح

يا غربة الروح، آفاقاً... وأعماقاً ... وحيرةَ القصدِ، في المجهول مُنساقا
ويا أوار* جنانٍ لا قرار له ... «مُزَئبَقِ» الميل، إعراضا وأشواقا
إلى متى تنشج الأحزانُ في عمري ... وعالمُ الناس حولي عجَّ براقا
كأن «مدريد» غل لجَّ في عنقي ... يلفه، كلما نازعتُهُ ضاقا
إذا مددتُ اتجاهي نحوَ بارقةٍ ... مدَّتْ إلي هموم الدهر أعناقا
وليس «مدريدَ» ما أشكوه بل شجن ... قد باتَ في خفقاتِ القلب خفاقا
يا قلبُ هل خلتِ الأكوانُ من طربٍ ... أم هل عقدتَ مع الأشجانِ ميثاقا
أم إنه كُنه حُر لاهبٌ ظمئٌ ... تعيثُ نيرانه بالجسم إحراقا
يرنو طموحي إلى مجدٍ، تناوُلهُ ... صعب على غيرِ أمر الله إطلاقا
ويستثيرُ هوى نفسي الجمال وقد ... خُلِقتُ للحسن أنَّى كانَ ذواقا
ومن تأجج في أعراقِه دمُهُ ... يظل في لهبِ الآمال تواقا
وإنني لأبيّ الذاتِ عن عرَض.. ... الدنيا، أرى كبرياء المال إملاقا
أعيش في غير جوي، حائراً بَرماً ... مُكبلا، بقضاء الله مُنساقا
نفسي تثور على نفسي وتسألني ... هدىً يفوق سجايا الناس أخلاقا
تريد أن أجعل الآفاق منطلقي ... لأبتغي خلفها للمجد آفاقا!
وليس لي حيلة والخلق من حمأٍ ... يرمي بدربي أوهاقا* وأوهاقا
هذا لعمري صراع دائبٌ سَمِجٌ ... يُبددُ العمر لأواء وإرهاقا
يا ربِّ قد رقَّ طبعي فطرةً ونهىً ... لكن جوَّ حياتي قلَّما راقا
حتامَ أحيا وروحي غائمٌ قلقٌ ... تُلقي على عزمي الأقدار أغلاقا
ألا تجليتَ يا ربي عليّ بما ... يُزيلُ همي ويحبو الروح إشراقا

٤٠

رق؟!

لندن: ١٣٨٢ ــ ١٩٦٣

لبيتُ دعوة الصحبِ إلى العشاء، في المطعم الأنيق...

كانت تجذب النظر، في صدر القاعة، أريكة من مخمل، يستريح عليها تمثال ملون رائع، لفتاة عريانة، بارعة الجمال!

دنونا لنأخذ مجلسنا، فتبينتُ أن التمثال حقيقة حية!!

ثم أخذت تداول الأريكة بإغراء حسناء إثر حسناء، في عري كامل وأوضاع متغيرة، تجمد فيها كل واحدة نفسها ليرسمها من شاء من رُوادِ المطعم!

كنتُ أقرأ في أعماق عيونهم أهوالا؛ وأردد في سري: هذا هو «تحرر المرأة» في «أوروبا»!!

رق؟!

أفتـــاة بضَّـــةٌ كالياســـمينْ ... بـــرزتْ عُريانـــة للنـــاظرينْ
جمـــدتْ جلســـتها فـــي عَنَـــتٍ ... واستقرتْ في خضوع مستكينْ
أم تـُراها «هـيكلا» مـن مرمـرٍ ... لصَـــناع بـــذَّ فـــن النـــاحتينْ
فبـــدا تنـــبض فـــي أجزائـــه ... مـــن حيـــاة، لهثـــات لا تبـــينْ
أم همـــا ســـيان فـــي كنههمـــا ... صورة والأصل من ماء وطين؟!

زعمـوا؛ والمـينُ فيمـا زعمـوا، ... أنهـــا جالســـة للراســـمين
ودعـــوا ذلـــك فنـــا، فنـــداً* ... يبـرأ الفـن مـن الجـور المهـينْ
مُغريـــاتٍ جَمَّعَـــتْ أســـبابها ... فتنـة الشـيطان فـي هـذا الكمـين:
غـادة فـي عريهـا يزهـو الصـبا ... وطعـــام لـــذة للآكلـــينْ
وشـــرابٌ مـــذهل دارتْ بـــه ... فتيـــاتٌ يســـتبين الشـــاربين
ولحـــونٌ، وظـــلالٌ، وشـــذا ... هائمـات تمـلأ الجـو الـدخينْ
زينـــةٌ جذابـــةٌ خلابـــةٌ ... ولهـا فـي حمـإ* الجسـم مَعـين*
شَـــرَكٌ للنـــاس قـــد أبدعـــه ... جشـع المـال ومكـر المـاكرين

مـــن يَشِـــمها* مثلمـــا أبصـــرتها ... سـيرى فـي نفسـها الهـم الـدفين
أجَّـــرتْ للمســـتغلين صِـــبا ... عريهـا الفتـان، والقلـب حـزين
جســـدٌ تنهشـــه الأعـــينُ فـــي ... نهـم الحيـوان، مخفـوض الجبـين
إنهـــا بائســـة معـــوزةٌ ... بسـمتْ، مُضـطرةً للحاضـرين
بَســـمةً باهتـــة تجـــثمُ فـــي ... غورهـا مأسـاة جيـل الحـائرينْ
إنهـــا إنســـانة مهـــدورة الـــذاتِ، ... .. يحكـــي صـــمتها للمـــدركين
قصـــة الغـرب التـي تخنـق فـي ... شـدوها الصـاخب أصـداء الأنـينْ
مـــن يَشِـــمها، مثلمـــا أبصـــرتها ... ســـيراها عبـــرة المعتبـــرين

أيهـــا الإنســـان، مـــاذا صـــنعت شـهوات الجسم بـالروح الثمين**!؟**
كـــــرَّمَ الله بنـــــي آدمَ مُـــــذ بـرأ الخلـق، وصـاغ العـالمين
عبـــثُ الإنســـان بالإنســـان مـــا كـان فنـا فـي حجـى الحـق المبـين
إنـــه الـــرق الـــذي ينكـــرهُ كـــل إنســـان ووجـــدان وديـــن

٤١

في غلق

جبل الأربعين – أريحا: ١٣٨٤-١٩٦٤

في غلق

أفـــتحُ العينـــين كالموغـــل .. فـــي تيـــه سباســـبْ*
نصـــف حـــيٍ، نصـــف ميْـــت بـــين موجـــود وغائـــب
خـــادر الجســـم، وروحـــي بـــين أوصـــالي ناصـــبْ
ســـادر* الحـــسِّ، وطَـــرفي فـــي مـــدى الآفـــاق لائـــبْ
شـــارد الـــذات كـــأني.. الريـــبُ، حيـــرانَ الرغائـــب
تـــئنشِبُ الآلام والآمـــال .. فـــي جســـمي مخالـــبْ
إبـــرٌ يمضـــغ جلـــدي وخزهـــا، مضـــغ الأرانـــبْ
نفســـي بـــين فمـــي.. والأنـــف، فـــي بيـــت عناكـــبْ
وحراكـــي رِجّـــة الحـــدباء* .. هزتْـــها المناكـــبْ
مـــا أنـــا يـــا رب، مـــا دنيـــاي .. مـــا هـــذي الغرائـــبْ
مُوثـــقٌ، يخـــبط، أعشـــى* فـــي الـــدجى، بـــين خرائـــبْ
وبجنبيـــه «بـــراكين» .. مـــن الهـــم لواجـــب*
رابـــض الـــنفس، وفـــي.. الـــرأسُ «ملايـــين» المواكـــبْ
أمـــل يُصـــعِدُ فـــي الـــلأواء .. لا يفتـــأ لاغـــبْ
هِمـــة ظمـــأى إلـــى.. المجـــد وأســـبابٌ نواضـــبْ

ولقـــد تســـتفحِلُ الأعبـــاء .. والعـــزم يواكـــبْ
ويـــدِبّ ُ الجِـــد فـــي الريـــث، .. وللجُلـــى وجائـــبْ
بيـــد أنـــي، وحيـــاتي مَـــدُّها المـــر تجـــاربْ
أينمـــا وجَّهْـــتُ وجهـــي تتلقـــاني مثالـــبْ
هِـــرَرٌ مستأسِـــدات وأفـــاعٍ وثعالـــبْ
وصِـــحابٌ فـــي جـــدال ومُضِـــي غيـــر صـــائبْ
كمنـــام طـــامح فـــي فلـــواتِ الـــوهم جائـــبْ
يرقُـــبونَ الـــدهر أن.. يـــأتي عـــنهم بالعجائـــبْ
فـــإذا واتـــتهم الأيـــام .. فالربـــان ســـائبْ
وتضـــيع الفرصـــة المثلـــى .. ولا تجـــدي المنـــادبْ
ضـــل مـــن يأمـــل أن يَقهَـــرَ بـــاللغو المصـــاعبْ

واه مـــن وطـــأة هـــذا.. العمـــر، والأمـــر نوائـــبْ
أنـــا مـــن رهطـــي، ومـــن قـــومي، .. ومـــن دنيـــايَ غاضـــبْ

خـــاب فـــي النـــاس اعتمـــادي ... ومضـــــائي غيـــــر خائـــــبْ
كلمـــــا بـــــادرَ بـــــي عزمـــــي ... .. إلـــــى شُـــــمِّ المطالـــــبْ
ردَّنـــي صـــحبي إلـــى مُرتهَنـــي ... .. مـــــن غيـــــر صـــــاحبْ
فحيـــــاتي غـَـلـَـــــقٌ* فـــــي ... غَلـــــَقٍ، والـــــدهرُ دائـــــبْ
وهمـــــومي فـــــي مَراقـــــي ... هِمَّتـــــي، ضـــــربة لازب*
ليتنـــي كنـــتُ باليـــدَ الحِـــسِّ ... .. غـُـــفلاً مـــن مواهـــبْ
لاســـتراح الحجـــر المطـــروح ... .. فـــــي درب الزرائـــــبْ!
أيُنيـــــر القصـــــد، فـــــي.. ... محلولِـــكِ الليـــل، حُباحِـــبْ*!
شـــمعة تعبـــثُ فيهـــا الـــريح ... .. فـــــي لـــــُجِّ الغياهـــــبْ
مـــا الـــذي تقـــدر أن تصـــنع ... .. فـــــي الأســـــر النجائـــــبْ
مُـــــؤمنٌ، حُـــــرٌ، رهـــــين ... إنهـــــا أم المصـــــائب!!

٤٢

مُؤرَّق

حلب: ١٣٨٤- ١٩٦٤

مؤرق

دجى الليل والحُر الغريب مؤرقُ ... أبيّ ُ الهوى نذْبُ* المروءة مُوثَقُ
تروحُ به آماله وهو سادرٌ ... وتغدو به آلامه وهْوَ مُطرقُ
ويغفو، به الإعياء في موهن* الدجى ... فيغفو وهل يغفو الجنانُ المُحَرَّقُ
وفي رأسه دارتْ رحى الهم والهوى ... وأجَّ بصدغيه الصداع الممزِّقُ
ألا يا رؤى الإعياء، ما أنتِ يا رؤى؟ ... أدأماء يأس والأمانيّ ُ تغرقُ
طيُوفكِ أشباحٌ تُلِمُ وتختفي ... تروع حثاثَ* الغفو عنه وتمرقُ
أييأسُ واليُسرى لها في عروقه ... دماءٌ، من الإيمان بالله، تدفُقُ
ويأمُلُ والعسرى أغصَّتْ دروبَهُ ... تُلاحِقُ أبواب المُنى وتُغَلِّقُ
ولو أنها قصدٌ قريبٌ لأمكنتْ ... ولكن فضاء الجو من ذاكَ أضيقُ
له الله من عانٍ* يُطوِّفُ مُصعِداً ... ويجتاز آفاق الورى ويُحَلِّقُ
تقاذفه اللأواءُ بين أكُفها ... وتعركُه في مِنْسَريها* وتخفُقُ
فيرتج ما نفسه من مطامح ... ويمتزج البحران: مجدٌ ورونقُ

٤٣

في محراب الرسول

المدينة المنورة: ١٣٨٤-١٩٦٤

في محراب الرسول

تألَّهَ قلبي لما سجدتُ ... أهيمُ بمحراب خير الأنامْ
وفي أعيُني من سنا الله برقٌ ... يُحَس، ولكنه لا يُشام*
تحُف بروحي عوالمُ ولهى ... كأني بها كُوِّنَتْ من سلامْ
أغيبُ كمن نام في نشوة ... ونفسي عيونُ هوىً لا تنامْ
وأشعُرُ أني كِياني تمدد ... حتى تخطى الدنى والحُطامْ
أقول سموتُ؟! وفوق السموِّ! ... أقولُ ثمِلْتُ؟! وما من مُدامْ!
أقول ارتويتُ؟! أجل؛ لا.. ولا ... وكيف ارتويتُ وكُلِّي أوامْ؟!
ألا إنها نُعمَيَاتُ التجلي ... هُيامُ سجودٍ يفوق الهُيام
فسبحانك الله ملء الوجود ... وملءَ السجود وملءَ القيامْ

٤٤

لن أتوب

الرياض: ١٣٨٤-١٩٦٥

لن أتوب

تَبَيَّنِـــي دربَـــكِ بـــينَ الـــدروبْ ... يـا طفلـة القلـب، فدتْـكِ القلـوبْ
تسْألُـــني عينـــاكِ فـــي نظـــرة ... غريـرةٍ، ظمـأى، لهـوفٍ، لـَغوبْ
تـــُحِبني؟ أجـــل أحِـــب الصـــبا ... والـذوق، والحُسنَ، أحـبُ الطيـوبْ
أحِـب دفء الـروح يسـري إلـى ... روحـي، أحِـبُ الحـبَّ، فيـه أذوبْ
وكـــل ذراتِ كِيـــاني هـــوىً ... وفـي دمـي الفـوار، تـوقي يلـوبْ
ولـــي أوامٌ حـــالمٌ حـــائم ... وقـد أغصَّـتْ زفراتـي الكـروبْ
وهـا أنـا أحيـا غريـب المنـى ... وعمُـري ينسـاب نحـو الغـروبْ

أحِـــب، إي والله، لكنهـــا ... لمـا تـزل فـي الغيـب، آلٌ* كـذوبْ
وإننـــي أقرؤهـــا دعـــوةً ... للحب، في عينيكِ، ولهى حَدُوبْ*
الـروح لباهـا، وشِـعري شـدا ... لهـا، وهامـتْ فـي جَنـاني تجـوبْ
وردهـا فـي وجَـلٍ راعـشٍ ... ضـميرُ قلـبٍ أثخنتْـهُ النـُدوبْ
قاربـتُ خمسـيني، فمـا تصـنعُ.. ... العشـرونَ بالخمسـين؟! لا يـا
لا تـُسلِمي ثغـركِ إلا علـى ... عَـــــــــــــــــروبْ
هـل للعـوبِ العمـر مـن مُتعـة ... هـدىً، إلـى ثغـر بَـرود طـَروبْ
إلا بصِـنوٍ مسـتهام لعـوبْ؟

ذوقـيَ حبُ الغيد كـالبرعمِ الريـانِ ... والـذوقُ ضُـروبٌ ضُـروبْ
أحيـا، ومـن عشـرين عمـر الصِّبا ... نـارٌ لهـا بـين ضـلوعي هبـوبْ
حريقهـا كالشـوكِ فـي مضـجعي ... وا لوعتـاهُ مـن تجـافي الجُنـوبْ
وأعتـــزمُ الأمـــر، وأســـبابُهُ ... شـتى، وألقـي قـدَري للغيـوبْ
فأبصـــر الـــدنيا وقـــد أقبلـــتْ ... وازَّينـتْ، والعصـرُ عصـرٌ نهـوبْ
لكنهـا مروءتـي فـي الهـوى ... تزجُرُ خطوي عن دروب الذنوبْ

قـد أغمِـضُ العينـين مسـتروحاً ... بســـهوةٍ للحلـــمِ فيهـــا دروبْ
وجـدٌ مـع الأنفـاس ترديـده ... وأمَـلٌ يمضـي، وذكـرى تـؤوبْ
وشـاحُ نفسـي غـائمٌ قـائم ... لكـنَّ نـور الحُـبِّ فيهـا دؤوبْ
جرَّبنـي الحـبُ وجرَّبتـُهُ ... ونـابني مـن هولـه مـا ينـوبْ
أجـرعُ صـاب* الوجـدِ فـي عفـة ... هيمى، وعن رشدي لوجدي أثوبْ
وكـُلما قـُلتُ لقلبـي: ألا ... تتـوبُ؟ قـال القلـب: لا.. لـن أتـوبْ

٤٥

رُون

المدينة المنورة: ١٣٨٥- ١٩٦٦

رون

يـا رب مـا أنـا فـي الحيـاة! .. ومـا الحيـاة ورونهـا*!؟
أهـي الخيـال، أم السـرابُ، .. أمِ الـرؤى مجنونهـا!
مـا لـيَ قـدِ اجتـَذبتْ خـُطايَ .. مـن السـهول حُزونهـا*!
فـالأرضُ فـي رأسـي تـدورُ .. شـؤونها وشـجونها
ولكـل نفـسٍ فـي الحيـاة .. عرامهـا* وسـكونها
ولقـد تنـامُ عيونُهـا حتـى تصـيحَ مَنونُهـا
وهمـومُ نفسـي، مـدَّ دهـري، .. لا تنـامُ عيونهـا!!

٤٦

عندليب

جدة: ١٣٨٥- ١٩٦٥

عندليب

أمـا كـانَ ذاك العنـدليب ينـامُ عـن حقيقتِـهِ، فـي صـدركِ النـاعم الـبضِّ
فلمـا أجلـتُ الكـفَّ فـوق جناحـه تنبـه ثـم اهتـزَّ فـي غصـنكِ الغـضِّ
وصِـرتُ إذا مـا مـس كفـي ريشَـه تنفـَّخ، والمنقـار أومـأ للعـضِّ
فيـا لارتعـاشٍ قـد سـرى منـه فـي دمـي ارتعاشٌ، كبعضِ الجمر ينفث في بعض
هـوايَ*؛ وللـذكرى وإن أمعـنَ النـوى وجِـيبٌ بقلبـي خـافقٌ لاهـبُ الـومضِ
معـاذ الوفـا، أنسـى طلائـعَ عهـدنا وأنـتِ كنُـوارٍ تفـتحَ فـي روضِ
لقـد كنـتِ لا تـدرينَ معنـاكِ فـي الهـوى فلمـا التقينـا، هـاجَ نبضُـكِ مـن نبضـي
هـوايَ؛ فهـل نامـتْ عيونـكِ عـن هـوىَ تنـاءَي؟! وعينـي لـم تـذقْ لـذة الغمـض!
صـبابة أيـامِ الصـبا مـلء لهفتـي حيـاتي تمضـي، وهـي فـي القلـبِ لا تمضـي

أحِـس التصـاقاً بيننـا رغـم بُعـدِنا، ولكنـه كـالأفق ذي الطـول والعـرض:
عِنـاقٌ، وتقبيـل، ومـن شـفة السـما فنـاءٌ خيـاليٌّ علـى شـفةِ الأرضِ

٤٧

يا رحمة الله

جدة: ١٣٨٥- ١٩٦٥

يا رحمة الله

يضـيع هـذا البحـر فـي نظرتـي ... منغلِـقَ الأفـق علـى حـدِّهِ
ونفسـي البحـر الـذي أفقـه ... يُجـاوزُ الأفـلاك فـي مـدِّهِ
لكنهـا تـذهبُ مثـل الصـدى ... تـذاوبتْ فحـواهُ فـي ردِّهِ
نعـيش فـي عصـر موازينـه ... فـالحق قـد آلـتْ إلـى ضِـدِّهِ
هُزالُـهُ أفعـلُ مـن عزمـه ... وهزلـهُ أمثـلُ مـن جِـدِّهِ
فيـا لهـمّ دائـرٍ كـالرحى ... ويـا لَـخرْقٍ ضِقْـتُ عـن سَـدِّهِ
ويـا لقلـبٍ مُقبـلٍ فـي الهـوى ... وجَـده يمعِـنُ فـي صـده
ويـا لهـا مـن غربـةٍ أحـدقتْ ... بـالعمر مـا تفتـأ عـن هَـدِّهِ
أمـا أُخـيٌّ واحـدٌ فـي الـدنى ... يحبـوكَ مـا تحبـوه مـن وُدِّه؟!
قـد تعـبَ الحـر، وأعيـاهُ فـي ... دنيـاه، مـا يَعْجِـزُ عـن عَـدِّهِ
يـا رحمـة الله ألا نجـدةٌ ... تعـينُ هـذا الحـر فـي كـده
تُـقرِّبُ النـائيَ مـن قصـده ... وتسـعِف العـاثر مـن جَـدِّهِ

٤٨

حلمٌ ويقظة

جدة: ١٣٨٥- ١٩٦٥

حلمٌ ويقظة

ضـممتُ جفنـاً علـى جَفْـنٍ وبينهمـا ... تركـتُ كـالخيطِ مفتوحـا علـى خَلـدي
فصِـرتُ فـي لمحـةٍ كـالبرق خاطفـةٍ ... رغـمَ الحـواجز والأبعـاد فـي بلـدي
وأبصـرتْ أعيُنـي فـي بـون* نظرتهـا ... ما أحدث النـأيُ في أهلي وفي وَلدي
فقلـتُ، والحـزنُ فـي قلبـي يُحَرِّقُـهُ ... هـذي مغبـاتُ عيش المرء في النكدِ
وثـَـمَّ أغلقـتُ نفسـي فـي توحُـدها ... كديـدنِ الأمس، لا ألـوي علـى أحـدِ
واستسـلمَتْ روحِـيَ الـولهى لعزلتهـا ... وغِبْتُ في سبحاتِ الحُلمِ عن رَشَدِي
وسِحْتُ في «لاشعور» الحس منطلقاً ... أحِيدُ فـي سكراتِ الحبِّ عن جددي
دخلـتُ جنـة محبـوبي فـأكرمني ... بنظـرة هـاجَ منهـا الوَجدُ فـي كبِـدي
ورُحْـتُ أقطِـفُ مـن أعنابـه ثَـمِلاً ... وألـثمُ الخـد لثمـاً غيـر متئِـدِ
ومَـرَّ عمـر الهـوى مـا بيننـا، فـإذا ... بنـا نعـيش الهـوى، بعثـاً، يـداً بيـدِ
كـف علـى النهـد تسـتجلي طلائعَـهُ ... وبـرعم النهـد جمـرٌ غيـر متقِـدِ

حتــى إذا أصْــبُعِي هاجتــهُ فــي ولــهٍ ... نادى الحبيب: بداراً قد وهى جَلَـدِي
واســتيقظ الحلــمُ فــي عينــي لصــيحته ... ولـذة الحلـم فـي جسـمي وفـي خلـدي
لكنــه طــار فــي صــحوي، وغــادرني ... أزيـنُ نفسـي؛ ألـم أنقـص؟ ألـم أزد؟!
وَجَذْتـُنـي فـي فراشـي، والـدجى نَصَفٌ* ... وعـاد يغمرنــي مـا كـان مـن كمـدي
وعــانق الفجــرُ سُــهدي لا معانقــة.. ... الأحبــاب، لكنــه فــي العـين كالرمــدِ
وعِشــتُ غربــة روحــي مــرَّتين ِ، وقـد ... رأيتُ زحفَ هموم الأمس نحوَ غدِ!!

٤٩

بلاء شهي

كراتشي: ١٣٨٥- ١٩٦٥

بلاء شهي

جانِبُ الروح والسماء، من النفس ... نقي يمدني بالصفاء
مشرقٌ، ناصع، كريم، رحيمٌ ... مطمئن بين السنى والسناءِ
وترابيَّتي لها نزغات* ... وظلالٌ حوالِكٌ في ضيائي
كلما رُمْتُ أن أجاوزَ في التحليقِ ... .. أرضي، إلى ذرى الجوزاءِ*
أتسامى منها إلى مَلَكوتِ الروحِ ... .. طلقاً من أسر طينٍ وماءِ
جَذبتْني نوازع الحمأ المسنون* ... .. قسراً، وألزمتني وعائي

واهِ للشاردِ الرهين يُعاني ... في متاهاته ألدَّ العناء
ذبذباتٌ حيرى من القلق.. ... الممتد بين الثرى وبين السماء
أيها القلب، أنتَ أنتَ عليك.. ... العبء، ما بين عِلَّتي وشفائي
تتمنى وعزَّ ما تتمنى ... كيف يؤتي البقاءَ روضُ الفناءِ
أي سِجن أعيش فيه بأسر ... الدمِ واللحم، في وغىً هوجاءِ
في صراع مع الطبيعة والإغواء ... بينَ المنى، وبين الإباءِ
وإنائي ملوَّنٌ لعُقاري ... وعُقاري يؤجُ ملء إنائي

بذلَ الغيد حُسنهنَّ رخيصاً ... عارياً في مسابح الإغراءِ
وبأعماقهن من ظمأ الجنسِ ... .. مُرادٌ يلوح في الإغواءِ
ونِداءٌ، أقوى من العزم، خافٍ ... يتحدى غرائز الشعراءِ
وبأعماقنا استجابةُ إنسانٍ ... .. من الأرض، من بني حواءِ
وقفتْ في سبيلها زأراتٌ ... من ضمير الإيمانِ ذات قضاءِ

ما أشقَّ الحياة تُفضي وتمضي ... في ابتلاء، وفي شهيٍّ بلاءِ
ويظل الحر الأبيُ نقيَّ الروح، ... .. لكنْ في حومة من شقائي

٥٠

ماذا؟!

بيروت: ١٣٨٥- ١٩٦٥

ماذا؟!

مــاذا؟! شُــعورٌ غــامضٌ حــائرٌ
يلقــي علــى قلبــي ظــلالاً مــن
صــدري عليــه ثِقَــلٌ مــبهمٌ
ونَـفَـسِـــي ينســابُ فــي زفــرةٍ

مــاذا؟! هــي الغربــة؛ كــف مــن
وكاهِـــلٌ يُمنـــى بأيامـــه،
ووحشــة فــي العمــر أشداقُــها
أقــول: أدعــو أيَّمــا مُســعِفٍ

مــاذا؟! هــي الــدنيا، وأحيــا بهــا
أســيرُ كــالأفلاك فــي ســيرها!
أمضــي بــلا فحــوى ولا حــافز
أعمــلُ، لا فــي مســتوى هِمَّتــي!

مــاذا؟! ومــا دائــي؟ ومــا طِبّــُه؟*
رضــاكَ، يــا ربــاه، مــا أرتجــي،
يفــكّ أغلالــي، وأســمو بــه
فجُــدْ علــى الــروح بإشــراقةٍ

يمــوجُ فــي نفســي مثــلَ الضــبابْ
الريبــةِ والحــزن، كــوهم الســرابْ
حُنجَرَتــي، كــأن فيهــا تــرابْ
راجفــةٍ للهــم فيهــا انســيابْ

الشــوكِ، علــى أوداج عُنُقــي يشــدّ
ْ
تزيــده ضــعفاً، وعــبء يهــدّ ْ
فوهــة بركــانٍ، ومــا مــن يســد
أدعو؟! وهيهاتَ، فمن ذا يرُدّ ْ؟!

مُضــطرباً بــين الثــرى والســماء
ليس لهــا بين الدروب اصــطفاء
مُكــبَّلَ العــزم ســجينَ المضــاء
آكــلُ مــن جــوعٍ، بغيــر اشــتهاء!

حتــامَ أبقــى هكــذا موثقــا؟!
يضــفي علــى عــوالمي رونقــا
مــن مُرتقــى إلــى ذرى مرتقــى
مــن الرضــا، أحيــا بهــا مشــرقا

معجم الديوان

هذا الديوان
(صفحة: -)

أوجال: جمع وجل: الخوف
الرَّين: الدنس
رهواً: رفقاً
رهقاً: الرَّهّق: حمل المرء ما لا يطيق
أنهر: جمع نهار
الزهور: الزهرة جمعها أزهار أما صيغة: زهور فليست معجمية
حيف: الحيف: الجور
الزبيري: أبو الأحرار الوزير اليمني الشاعر الشهيد القاضي محمد محمود الزبيري الداعية إلى السلام ومؤسس حزب الله.
كفـّارة: الكفارة: ما يُتـَلافى به الإثم
الحمأ: الطين الأسود، والمقصود هنا: طين التكوين الإنساني
أوصاب: جمع وصب، وهو التعب
لأواء: اللأواء: الشدة
المتأله: المتعبد المتنسك
قرنايل: من قرى المصايف من قضاء «المتن» بلبنان
جبل الأربعين: من مراكز الاصطياف في منطقة «أريحا» السورية
أريحا: منطقة اصطياف في محافظة «إدلب» بسورية
وعثاء: الوعثاء المشقة وكل خصلة مكروهة
هيولى: الهيولى: المادة الأولى
سُلاف: السلاف: أفضل الخمر
أفانين: الفن: النوع، جمعه أفنان وفنون، وجمع الجمع: أفانين.
أضاميم: جمع إضمامة وهي المجموعة
أثارة: الأثارة: البقية من الشيء

.. ومضت شهور أربعون

(صفحة: -)

المُرم: المصلح الذي يتتبع المعوج حتى يسويه

أخلاق: الخَلَـق وجمعه أخلاق: الشيء البالي

عشواء: مؤنث الأعشى، ويقال: يخبطُ خبطَ عشواء إذا كانَ يتصرف في الأمور على غير بصيرة.

مجاجات: مجاجة الشيء: عُصارته

عنقائيا: العنقاء: طائر خيالي مجهول الجسم

الكيلاني: الأديب العربي كامل الكيلاني وكانت له ندوة في القاهرة يغشاها الأدباء والعلماء من مختلف البلاد.

المجددونات: كان العالم المحقق الكبير «عبد العزيز اليميني الراجكوتي» يُباحث الأستاذ «الكيلاني» في أمر لُـغوي، فسألهُ: وماذا يقول المجددون؟ فأجابه ساخراً: نحن ندعوهم «المجددونات» فلم ينتبه الراجكوتي للنكتة بادئ الأمر؛ وتساءل: وما هذه الصيغة في الجموع: فقال الأستاذ الكيلاني: إنها «جمع مخنث سالم»! وتضاحكا...

ضروس: حرب ضروس: شديدة مهلكة

سغب: السغب الجوع

حدسي: الحدس: الإحساس الخفي

إرهاصات: أرهص الشيء إذا أثبته وأسسه وإرهاصات النبوة دلائلها وبشائرها.

شعور

(صفحة: -)

مُرقرَق: سهل

جديب: الجديب: الماحل

نشيج: نشجَ الباكي نشيجا: غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب

في قرنايل

(صفحة: -)

رود: الرود: الشابة الحسناء

فاره: ناشط، غالب.

يقض: يزعج

مزع: جمع مزعة: قطعة

عُقاره: العُقار: الخمر

عَراره: العرار نبت طيِّب الريح، ومن الشعر الجاري مجرى المثل:

تمتـع مـن شـميم عـرَار نجـدٍ فمـا بعـدَ العشـية مـن عـرار

أج: تأجج واتقد
نجاره: النِّجَار: الأصل والحَسَب
أوام: الأوام: الظمأ
أقال: أقاله: صفح عنه
جدد: الجدد: الطريق السوي
ذماء: الذماء: بقية الروح
مرير: المرير: الحبل المفتول
إساره: الإسار: ما يوثق به الأسير
نصب: النصب: الوجهة
عنوة: قوة وقهراً

شكاة
(صفحة: -)
الندوة العالمية للإسلاميات: ندوة بحث علمي إسلامي دعت إليها جامعة البنجاب في لاهور.
خيمك: الخَيم: السجية والطبيعة
المحجة: جادة الطريق
أرومتها: الأرومة الأصل
نشب: النشب: المال والعقار
ريث: الريث: الأناة
حَزَب: اشتد
مستحر: استحر: اشتدتْ حرارته
الإحن: الإحنة: الحقد، وجمعها إحن
الوهن: الضعف، وفي الحديث النبوي أنه: حب الدنيا وكراهية الموت
المجن: قلبَ ظهر المجن: تحولَ عن الصداقة إلى العداوة
النجاد: حمائل السيف، وكريم النجاد: الطويل الجواد
الخصاصة: الفقر
تـُهتـَبل: تـُنتهز
رأب: رأب الصدع: أصلحَه

غير مباح
(صفحة: -)
لحن: لحن الكلام: فحواه ومعاريضه
طماح: الطماح: التطلع

جندي
(صفحة: -)
بلهنية: بلهنية العيش: رخاؤه

كرامة
(صفحة: -)
تجتوي: تـُكرهُ
القمين: الجدير
لمم: اللمم: صغار الذنوب
معين: المعين: المنبع
الخدين: الحبيب والصاحب
أمين: مانَ يمين: كذب
حثاث: الحثاث: النوم أو قليله
رهج: الرهج: الغبار
الأربعين: «جبل الأربعين» من مراكز الاصطياف في سورية الشمالية
بين الوزارة والسفارة: المدة التي قضاها الشاعر في كفاح غاصب الحكم في سورية بعد أن كان وزيراً مفوضاً في باكستان، وقبلَ أن يصبح سفيراً في المملكة العربية السعودية
السنين: الشدائد
الحين: الهلاك
للجلى: الجلى: الأمر الخطير، إشارة إلى سفارة جدة ومشاقها.
قصد: القصد: الاعتدال
فندا: الفند: الكذب
التمحيص: محص الرجل: ابتلاه واختبره
ظفروا: ظفره: غرز في وجهه ظفره
خدري: الخِدر: بيت الأسد

زفرة
(صفحة: -)
لحن القول: كنايته ومعاريضه
شمت: شام الشيء: لمحه وقدَّرَه
الطـَّول: القدرة
بلمزٍ: اللمز: العيب
أوّه: شكى وتوجَّع
ينث: ينث ويفشي
دوّه: الدو: المحيط

قدر

(صفحة: -)

الأثير: مادة فرضية لا تقع تحت الوزن، تتخلل الأجسام ويكون امتداد الصوت والحرارة بواسطة تموجاتها

الهم المقدس

(صفحة: -)

أفانينها: الأفانين: الأنواع

مزع: المزع جمع مزعة، وهي القطعة

لائب: اللائب: الظمآن البعيد عن الماء

احترت: تحيرت: التبس عليَّ الأمر، (ليس معجمية)

ذنبي على جنبي: جعل ذنبه على جنبه: مثل عامي يُراد منه ترك الإنسان إلى نتائج عمله

في وحدتي

(صفحة: -)

ترنَّح: تمايل

لأيٍ: اللأي: التعب

رتيبة: أمر راتب: دائم ثابت، والرتبة: التي تجري على نمط واحد (ليست معجمية)

الراد: تعريب اختاره الشاعر للراديو

سدِر: تحيّر

الحشاشة: بقية الروح

خناث: وصف للأنثى، يستعمل في النداء. يا خناث: يا متكسرة

يلوب: يحوم ظمأ، والماء بعيد

معينه: منبعه ومصدره

قضاء

(صفحة: -)

الحدس: الإحساس الخفي

نشيج: النشيج: الغصة بالبكاء في الحلق دون انتحاب

حشاشتنا: الحشاشة: بقية الروح

وا حربا: كلمة ندب وتأسف

يا ليل

(صفحة: -)

عَشِيَتْ: عَشِيَ: ساء بصره

أسقِطَ في يديّ: أسقط في يده: زل، ندم، تحير
يُؤَج: يتأجج ويتقِد
المجرة: منطقة في السماء، قوامها نجوم كثيرة لا يميزها البصر.
سجوفك: سجوف الليل ظلمته
طلاً: الطل: الندى
ناشجا: غاصا بالدمع دون انتحاب

أغوي.. وأتوب
(صفحة: -)
مهيضا: المهيض: المنكسر
رهو: الرهو: الرفق
لمم: اللمم: صغار الذنوب

ساعتي
(صفحة: -)
غلتي: الغلة: الظمأ الشديد

أنا والشعر
(صفحة: -)
موهنا: الموهن منتصف الليل أو بعد ساعة منه

غيث في آب
(صفحة: -)
رويا: الرويُ من الشرب: التام المشبع
تلعس: لعست الشفة كانت لعساء، أي فيها سمرة مشرَّبة بحمرة.
كميا: الكمي: المدجج بالسلاح
نجيا: خلص نجيا: انفرد بصاحبه سراً
نُثار: النثار: ما تناثر من الشيء
وشِيا: موشىً: الوشيُ: نقش الثوب
عيـِيّاً: عيّ في المنطق حَصِرَ، فهو عييٌ
خدنها: الخدن: الصاحب الحبيب
الحميا: الخمر
نثثت: نثَّ: بث
السديم: الضباب
أتيّـا: الأتِيّ: السيل
بدِيّـا: البدِيّ: العجب
أريحيا: الأريحي: الكريم

بركان

(صفحة: -)

ذمائي: الذماء: بقية الحياة
عارمة: العارم: المشتد، المتجاوز الحد
أزجيها: أدفعها
ضارمة: ضرم: اشتد جوعه
كاتمه: الكاتم: المتيبس
لـُمَع: اللمعة: البقعة من السواد وجمعها: لـُمَع
ازورت: ازور عنه: عدلَ وانحرف
العاني: عُنِي بالأمر: اهتمّ به، وأصابته مشقة بسببه، فهو عانٍ.
كاظمة: الكاظم: العطشان اليابس الجوف
ناجمة: نجم السهم: نفذ
عاجمة: عجم الشيء: اختبره وامتحنه فهو عاجم

هاتف

(صفحة: -)

المرود: الميل يُكتحَل به
اللمى: سمرة الشفاه
إعصارا: الإعصار: ريح ترتفع بالتراب أو بمياه البحر وتستدير كأنها عمود

أم أحمد

(صفحة: -)

القتاد: شجر صلب له شوك كالإبر
لتغشى: غشيَ المكان: أتاه
مجمع الأضداد: كناية عن اللحد

قلقة

(صفحة: -)

نَصَف: النصف من كان متوسط العمر
ترب: تِرْبُ تـَـرَفٍ: وُلِدَت ونشأت على الترف
انتكأ: انتكأ الجرح: انقشر قبل أن يبرأ
عنوت: العنوت: الشاق
عَزوفة: العزوف والعزوفة: من لا يكاد يثبت على مودة خليل
ضرعت: ضَعُفَـتْ
مرير: المرير: الحبل المفتول
بزّني: بزّه الشيء، سلبه إياه

قد: قدّ الشيء: قطعه

غفوة صاحية

(صفحة: -)

الساجية: الساكنة
أغيض: غاض: غار، نصب
هندستْ: اشتقاق من «الهندسة» والمقصود: إعادة البناء بشكل سليم
نضتْ: نضا: أزاح
المستكن: المكنون، المستتر
يُضوِّئ: ينير
الشتيت: المتفرق ، المتشتت

مع النجوم

(صفحة: -)

لأواؤه: اللأواء: الشدة
يشدَهُ: يدهش، يحير
راصده: رصده: رقبه
ناهده: نهد: ارتفع
جرثومة: الجرثوم والجرثومة من الشيء: أصله ومعدنه
رُون: الرون: الشدة
طواه: الطوى: الجوع

مارد

(صفحة: -)

لبس: اللبس: الشبهة والإشكال وعدم الوضوح
تنحتّ: تتآكل وتتساقط
فحواي: الفحوى: المعنى والمذهب
ربط: ربط اللهُ على قلبه: قوّاه وصبّرَه
أجَّتْ : تأججتْ واتقدتْ
وكس: الوكس:خسوف القمر
نكس: النكس: الدنيء الذي لا خير فيه

لم ترتوِ

(صفحة: -)

صبأتْ: صبأ: غيَّرَ طريقته وانحرف
شبق: الشبق: اشتداد الشهوة
تجتوي: تكره

أرجفتم: أرجف: خاض في الأخبار السيئة ابتغاء إثارة الفتنة

ولدي
(صفحة: -)
شتوت: مختلفة متباينة
عنوت: العنوت في الأصل: الأكمة الشاقة المرتقى
لأواء: اللأواء: الشدة
شاردة: شرد: خرج على الطاعة
القنوت: الطاعة
جأرةً: جأر إلى الله: رفع صوته بالدعاء

هوى
(صفحة: -)
المُرن: الحزين
إكسير: الإكسير في الأصل: ما يلقى على معدن خسيس فيحوله إلى ذهب، والمراد هنا: السر والروح
يتشاجى: تشاجى: تحازن، تظاهر بالحزن والهم
فجوات: جمع فجوة: الفرجة بين الشيئين
اشرأب: تطاول بعنقه وتطلع
مجني: المِجَنّ: كل ما وُقِيَ من السلاح، الترس يستر حامله

في البكور
(صفحة: -)
أمشاج: أخلاط
يلوب: يحوم ظمأً
أرج: الأرج: العبير
تحور: تنقص
حدو: الحدو: الحُداء

شبح الخريف
(صفحة: -)
ثُـغَـر: الثغرة: الفجوة، وجمعها ثُـغَر
يفتر: يبتسم
حبب: الحبب تنضد الأسنان وبياضها
الرَّتب: الصخور المتقاربة وبعضها أعلى من بعض
كِسَفُ: الكسفة: القطعة من الشيء، وجمعها كِسَف
مشعّثة: شعث: انتشر

البون: البعد، المدى
حدب: الحَدَب، المرتفع من الأرض
تفتلُ: فـَتِـلَ يفتل فتلاً: تباعد جنبا كأنهما فتِلا
بتعثرات: تعثر وعثر: زلّ وكبا ، والتعثرات: السقطات المتلاحقة
النشب: المال والعقار
الشذب: قطع العيدان والأغصان
نثر: النثر: ما تناثر من الشيء
الأوداء: جمع وادي
الكـُثب: جمع الكثيب
العصف: ورق الشجر اليابس
نسلت: مرت بسرعة، ومرقت
حَرَب: الحرب: الويل والخطر
الوصب: التعب والوجع
أهبي: الإهاب الجلد، وجمعه أهب
السَّخِب: الصخب
القتب: الرحل، عدة السفر
حمالة الحطب: الساعية بالشر
مُزَعٌ: جمع مزعة، وهي القطعة
اللأواء: الشدة
ألق: الألق: اللمعان

ضمير
(صفحة: -)
العنوت: الشاق
رزاح: عبء رزاح: لا يُستطاع النهوض به
الخواء: الخلاء والفراغ
علالة: العلالة: بقية الشراب في الكأس وما يُتعلل به
ركاما: الركام: المتراكم بعضه فوق بعضه
ريث: الريث: الأناة
الخلابة: ما يخلب العقل ويسلبه
للنزع: نزع في القوس: مدها وجذب وترها للرمي
لعس: اللعس: العض
نجاري: النجار: الأصل والحسب
الخنى: الفحش في القول
جماح: جمح جماحا: استعصى
ضوى: ضعُف
اسجح: ارفق وتلطف، وفي المثل: إذا حكمتَ فاسجح

لممٌ: اللمم: صغار الذنوب
وكس: الوكس: خسوف القمر
الأوام: الظمأ
هال: الهال مثل الآل: السراب
جُرُوس: جمع جرس: وهو الصوت الخفي

حرم الحب
(صفحة: -)
جرسه:الجرس: الصوت الخفي
شيْن: الشين: عكس الزين: العيب
مين: المين: الكذب
رين: الرين: الدنس
خصرِ: الخصر: العذب البرود
نمير: النمير الزاكي من الماء
كوثر: الكوثر: نهر في الجنة
ثرة: غزيرة
النفثة: المرة من نفث، الآهة الزافرة
هج: هُجت النار: اتقدتْ وسمع صوت استعارها
الشجى: الهم والحزن
هوم: نام، مال رأسه من النعاس
حائمين: إشارة إلى الحديث الشريف: «من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه»
جمحته: الجمحة: الشدة والعرام

طيف
(صفحة: -)
سبوح: فرس سبوح: سريعٌ غير مضطرب في جريه
سرى: السرى: سير الليل
يُغِذ: يسرع في سيره
اللغوب: التعب والإعياء الشديدان
اكتنف: اكتنف الشيء أحاط به
اللهوف: المتحسر
ابنة الكروم: كناية عن الخمرة
أمشاج: أخلاط
الديجور: الظلام
حلك: الحلك: شدة الظلام
الملاب: زهر طيب الرائحة
سِنة: السّنة: النعاس

يفغر: يفتح
رغائب: جمع رغيبة: الأمر المرغوب فيه
رغاب: جمع رغيب: الواسع الجوف
لغب: اللغب: الإعياء والتعب
سغب: السغب: الجوع
غرثى: جائعة
الحمأ: طين التكوين الإنساني
صبأ: ترك دينه لدين آخر
رويّة: الروية: السحابة الشديدة المطر
صديا: مؤنث صادٍ: الشديد الظمأ
آل: الآل: السراب
السبّوح: الله تعالى
يحور: ينقص

فقر الرجال
(صفحة: -)

الأثير: مادة لا تقع تحت الوزن تتخلل الأجسام ويمتد الصوت بواسطة تموجاتها. وهي عند الأقدمين الفلك التاسع
الأنديات: الأندية جمع نادي، والأنديات: جمعها
وجيم: الوجيم: الشديد الحر
تجتر: من الاجترار، والمقصود هنا، تردد الإشاعات
صه: اسكت
يحزبها أمر: حزبه الأمر، أصابه واشتد عليه
الرزاح: الذي يرزح تحت ثقله
ضر: الضر عكس السر
حوافز: دوافع
الوفر: الواسع
مرزأ: الكريم ، مُصاب

المرجفون
(صفحة: -)

سفاه: السفاه، الجهل
سَقط: السقط، ما لا خير فيه
المرجفون: المرجف، الكذاب، المختلق الأراجيف

أمي
(صفحة: -)

نشيج: النشيج، الغصة بالبكاء في الحلق دون انتحاب
حَشاشتي: الحشاشة، بقية الروح في المريض والجريح
الجُهادى: القصارى، غاية الجهد
يعنُ: عنا يعنو، خضع وانقاد
ألقا: ألق ألقاً، تألق وأشرق
حوبا: الحوب: الإثم
الربقا: الربق في الأصل: الحبل المعقد، وهنا، الكرب
ترقى: ترقأ، تجف
ودقا: الودق، المطر
دبقا: الدبق، نوع من الغراء

بشائر كتشاوا
(صفحة: -)

بمحتدها: المحتد، الأصل والجوهر
مرابعكم: مغانيكم
مانوا: كذبوا
طَـبَـع: الطَـبَعُ، اللؤم
غيان: ضال
عناة: جمع عانٍ، الأسير والخاضع
غطارفة: سادة، جمع غطراف وغطريف
الرجوى: الأمل
البشير: محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء رحمه الله
كتشاوا: علم على مسجد جامع في ناحية بهذا الاسم في مدينة الجزائر

غربة روح
(صفحة: -)

أوار: الأوار، الحر والحرقة
أوهاقا: الأوهاق هنا، الأغلال والعوائق؛ جمع وهق

رق؟!
(صفحة: -)

المين: الكذب
فندا: الفند، الخطل والانحراف والكفر بالنعمة
حمأ: الحمأ: الطين الأسود، وهنا: ترابية الجسم
معين: المعين: الماء الجاري تراه العين، وهنا: الينبوع
يشِمْها: شامَ: رأى

في غلق
(صفحة: -)
سباسب: السبسب: المفازة، الصحراء الممتدة
سادر: سدِر: تحير
الحدباء: النعش
لواجب: لجب لجباً: هاج
غلق: قفل، قيد
ضربة لازم: أمر لازم ثابت
حباحب: الحباحب: ذباب في ذنبه شعاع ضعيف

مؤرق
(صفحة: -)
ندب: الندب: السريع إلى الفضائل
موهن: الموهن من الليل، بعد منتصفه
حُثاث: الحثاث: بقية النوم
عانٍ: أسير
منسريها: المِنْسر: منقار الطير الجارح

في محراب الرسول
(صفحة: -)
يُشام: يُرى
أوام: ظمأ

لن أتوب
(صفحة: -)
آلٌ: سراب
حَدوب: تحدب عليه تعطف. والحَدوب: العَطوف: غير قاموسية
صاب: الصاب: المُرّ

رون
(صفحة: -)
رونها: الرون: الشدة
حزونها: الحزون: ضد السهول
عُرامها: العرام: شدة الحركة

عندليب
(صفحة: -)

هواي: محبوبي
كَـنُوَّار: الواحدة نوارة: الزهر الأبيض

حلم ويقظة
(صفحة: -)
بون: البون: البعد
نَصَف: النصف، توسط العمر

بلاء شهي
(صفحة: -)
نزغات: النزغات، ما يحمل الإنسان على المعاصي، نوازع الشر
الجوزاء: برج في السماء
الحمأ المسنون: طين التكوين الإنساني

.....

المحتوى

ألوان طيف (تعريف بالديوان)
هذا الديوان
ومضت شهور أربعون
١. شعور
٢. آب
٣. في قرنايل
٤. شكاة
٥. غير مباح
٦. جندي
٧. كرامة
٨. زفرة
٩. جواب
١٠. قدر
١١. شاعر
١٢. الهم المقدس
١٣. في وحدتي
١٤. مدى
١٥. قضاء
١٦. يا ليل

١٧. أغوي وأتوب
١٨. ساعتي
١٩. أنا والشعر
٢٠. غيث في آب
٢١. بركان
٢٢. هاتف
٢٣. أم أحمد
٢٤. قلقة
٢٥. غفوة صاحية
٢٦. مع النجوم
٢٧. مارد
٢٨. لم ترتوِ
٢٩. ولدي
٣٠. هوى
٣١. في البكور
٣٢. شبح الخريف
٣٣. ضمير
٣٤. حرم الحب
٣٥. طيف
٣٦. فقر الرجال
٣٧. المرجفون
٣٨. أمي
٣٩. بشائر كتشاوا
٤٠. غربة روح
٤١. رق
٤٢. في غلق
٤٣. مؤرق
٤٤. في محراب الرسول
٤٥. لن أتوب
٤٦. رون
٤٧. عندليب
٤٨. يا رحمة الله
٤٩. حلم ويقظة
٥٠. بلاء شهي
٥١. ماذا؟

معجم الديوان

المحتوى

كم سكبتُ الأشواق لحنا شجيا
دموع الحرمان عطرا شذياً
صغت للحب والجمال بشعري
وشعوري، حبات قلبي حليا
ولففتُ الجوى ببسمة صبر
وكتمتُ الهوى وعشتُ أبيَّـا

عمر بهاء الدين الأميري